

المجلد
٥٨

البَعْضُ الْإِسْلَامِيُّ

مجلة إسلامية شهرية جامعة



العدد العاشر - المجلد الثامن والخمسون - رجب وشعبان ١٤٣٤ هـ مايو يونيو ٢٠١٣ م

هل نحن في محنة العصرنة ؟ !

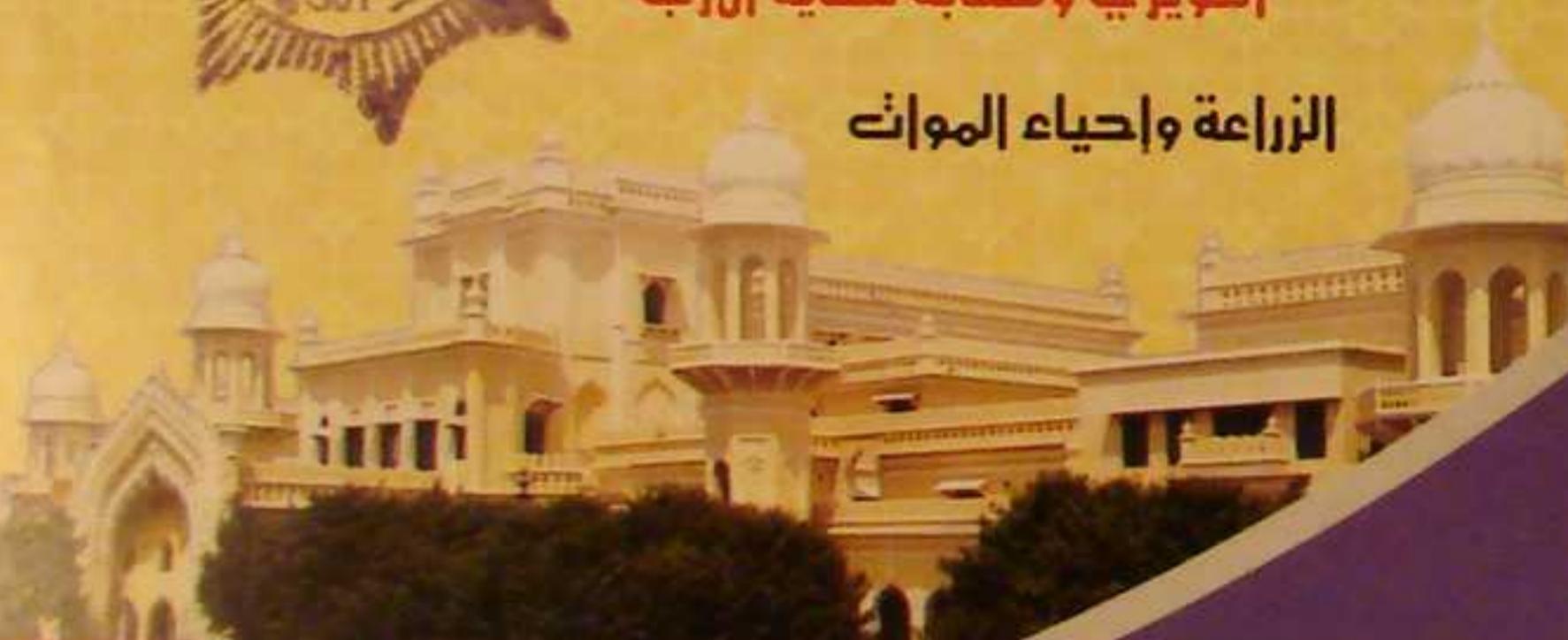
الإنسان في القرآن

حالة المجابهة في العالم الإسلامي

اعجاز القرآن في عالم الألوان

النويري وكتابه نهاية الارب

الزراعة وإحياء الموات



تصدرها: مؤسسة الصحافة والنشر، ص.ب. ٩٣، لكتاؤ. الهند

Albaas-el Islami, Majlis Sahafat-wa-Nashriyat, P.O.Box 93, Lucknow- 226007 (U.P. (India)
Fax : 0091-522-2741221, 2741231, E-mail:nadwa@sancharnet.in

Fax : 91-522-2741221, 2741231

Regd. No. LW-NP/642012 To 2014

R. N. I. No. (U.P.ARA/2000/2341)

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol: 58 Issue:09

April 2013

إصدارات حديثة:

المختار
من

فِرَانِدِ النَّقْوَلِ وَالْأَخْبَطِ

افتخار نعيم
محمد عوادة

ذِرَالْأَنْجَافِ

ذِرَالْأَيْمَنِ

DESIGNED BY: HAMID, Mob: 9889654027 Lko

Printed & Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
(Dept.of Journalism & Publicity) at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.

Editor : SAEED-AL-AZAMI-AL-NADWI

البعري العصامي!

البعري العصامي الذي يأخذ من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمته وبلاده، وما ينفع عملياً، وما ليس عليه طابع غرب أو شرق، إنما هي علوم تجريبية تطبيقية، وينفصل عن كل ما يأخذه من الغرب غبارة الصدق به في القرون المظلمة، وفي عصر الثورة على الدين، وفي حالة توثر أعصاب وقلق نفوس، يأخذ العلوم المفيدة مجردة من روح الإلحاد والعداء للدين، ومن النتائج الخاطئة، ويطعمها بالإيمان بفاطر الكون ومدبره، ويستخرج منها نتائج أعظم وأوسع وأعمق وأكثر سعادة للإنسانية مما توصل إليه أساتذتها الغربيون.

البعري العصامي الذي لا ينظر إلى الغرب كإمام وزعيم خالد، وإلى نفسه كمقلد وتلميذ دائم، إنما ينظر إلى الغرب كزميل سبق، وكقرير تفوق في بعض العلوم المادية والمعاشية فيأخذ منه ما فاته من التجارب، ويفيض عليه بدوره ما سعد به من تراث النبوة، ويعتقد أنه إن كان في حاجة إلى أن يتعلم من الغرب كثيراً، فالغرب في حاجة إلى أن يتعلم منه كثيراً، وربما كان ما يتعلم الغرب منه أفضل مما يتعلم هو من الغرب، ويحاول أن ينهج - بذكائه وجمعه بين حسنتين الغرب والشرق، وقوى الروحانية والمادية - ويضيف إلى المدارس الفكرية، والمناهج الحضارية مدرسة جديدة تستحق كل عناية ودراسة وتقليد واتباع. هذا هو البعري العصامي الذي لا يزال مفقوداً في صفوف القيادة والزعماء في العالم الإسلامي على كثريتهم وتتوغthem، وهذا هو العملاق حقاً الذي يبدو في جانبه القيادة المقلدون المطبقون صغراً متواضعين كالآقزام.

(سماحة العلامة الندوى رحمه الله)

الاشتراك السنوية

في الهند

ثلاث مائة روبيه

ثمان نسخة روبيه

في العالم العربي

و遍及 جميع دول العالم:

٥٠ دولاراً بالبريد الجوي

أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

المجلة غير ملتزمة

بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراك بالشيك:

باسم "البعث الإسلامي"

A/C 10863759846

(SBI LKO.MAIN BRANCH)

وذلك بالعنوان التالي:

مكتب البعث الإسلامي

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص ب ٩٣، لكناؤ (الهند)

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS SAHAFAT WA NASHRIYAT NADWATUL ULAMA P.O. BOX. 93,
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)

البعث الإسلامي

البعث الإسلامي

المجلد

مجلة إسلامية شهرية جامعة

العدد العاشر - المجلد الثامن والخمسون - رجب وشعبان ١٤٣٤ هـ مايو يونيو ٢٠١٣ م

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوى

واضح رشيد الندوى

مساعد التحرير:

محمد فرمان الندوى

محمد عبد الله الندوى

مسؤول مكتب المجلة:

أخته سهيل

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب. ٩٣. لكناؤ (الهند) الفاكس: ٠٥٢٢-٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Talgar Marg,

Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

E-mail:nadwa@sancharnet.in

العدد العاشر - المجلد الثامن والخمسون - رجب وشعبان ١٤٣٤هـ مايو يونيو ٢٠١٣م

هل نحن في ملة العزّة؟

نحن في عصر يتميز بالإبداع والإتقان ، فقد بلغ فيه الإنسان إلى ذروة العلوم والمعارف ، ولا يزال يبحث عن أسرار الكون وينقب في آيات من الخلق والأمر ويستخدم جميع الآليات في إدراك النقطة المركزية التي ينطلق منها نظام هذا الكون بغاية من تقدير الوقت ، ومن الموعود الطبيعي الذي لا تخونه دقة التنظيم ، فلا تقدم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص ، ولا دخل فيه للعاصي الموقته ، ولا لمعالم الزمن ، فضلاً عن أن يكون فيه شيء من إرادة الإنسان ، ومتطلباته المادية والروحانية ، إنما هو من صنع قوه خافية حارقة ، لا تراها العيون ، ومنذ أن ظهر عالم الآيات والعجائب ، ونزل إليه البشر وجده كائناً دقيق الآيات والآثار ، عميق الأسرار والظواهر ، كأن هناك يداً ذات قدرة حارقة عظيمة تشرف على سير هذا الكون بجميع ما فيه من آيات ييات بدقة وبراعة بالغتين إلى آخر المدى ، حيث لا يحلم بذلك أي إنسان ، مهما ادعى الإطلاع على نظام هذا الكون في شيء منه .

الله سبحانه وتعالى يذكر الإنسان ببعض آياته في الأرض والسماء والليل والنهار والشمس والقمر ، فهو عندها ويستلتفت الأنظار ويقول : « وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَآخْرَجْنَا مِنْهَا حَتَّىٰ فَمَنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَرْنَا فِيهَا مِنَ الْعَيْنِينَ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلْنَاهُ أَيَّدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلُّهَا مِمَّا نَبَتَ الْأَرْضُ وَمَنْ أَنْفَسْهُمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ * وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ * وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرَىٰ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالقَمَرُ قَدَرَتِهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونَ الْقَدِيمَ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ » (سورة يس الآيات ٤٠ - ٣٣) .

مایو ڈیوٹی ۱۳ - ۲۰۲۴

24

٤ - ج/٥٨ رجب وشعبان ١٤٣٤ھ

الافتتاحية:

١٦ العصرنة في محة نجاح

التجهيز الإسلامي

الدعاة الإسلامية :

أعجاز القرآن في دراسة أدبية وتاريخية

النويري وكتابه نهاية الأرب
الفتحة الإسلامية :

الزراعة وإحياء المو

مع الداعية الشيخ نعمة الله من هـ

الملك عبد العزيز
علي احمد باكثير افضل

صور وأوضاع :

باقلام الشباب والد

العاطفة الدينية عند احمد امير

من ك سور القرآن

أخبار علمية وثقافية :
ندوة حول المدارج النبوة في الث

وقد معهد الحرمين
الدورة ٢٢ / السنة الأولى

جولة في مدارس الهند الإسلامية

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى

الشيخ بهاء الدين الحيدر آبادی
السيد شعیب الرحمن إلى رحمه

والدة الشيخ محمد

أما الإنسان فإن حظه من هذا التقدير ، تقدير العزيز العليم في وجوده ليس بأقل مما ذكره الله سبحانه في هذه الآيات ، ذلك أن دراسة الكائن البشري ظاهراً وباطناً تؤدينا إلى ما يبعث الرعب والهيبة في النفس : فمثلاً من شعر الرأس وتصميم الوجه وتركيب العنق من جهة الرأس وجهة الكتفين ، والصدر وإنبات عضدين من جانبي الكتف ، والمرافق والسواعد والأصابع إلى وضع المعدة تحت أضلاع الصدر ، ونظام هضم الطعام وإفرازه بين روث دم ، ثم صنعة الظهر والنصر والفحذين والركبتين والرجلين ، فهذا كله سرد ظاهر في بنية الإنسان ، ويحتوي باطنه على القلب الذي هو منيع الحياة ، والمخ الذي هو مصدر العقل والتفكير ، وعلى الكليتين والرئتين والأمعاء والكبد ، والجهاز التناسلي والعروق والشرايين التي تضخ الدم إلى مركز القلب ومنه إلى سائر أجزاء الجسم ، وحدث عن قدرة قادر وصنعة الصانع ، ودقّ النظر في انسجام نظام الجسم مع نظام الكون ، تَرَ ما يدهش العقول التي تهتف بوحدانية الحالق البارئ المصور الذي له الأسماء الحسنى .

وانظر إلى بدء خلق الإنسان في قوله تعالى : «**إِيْخَبَّ إِنْسَانُ أَنْ يُتَرَكَ سُدًى** * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيْ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى *

فَجَعَلَ مِنْهُ زَوْجَيْنِ الذُّكَرَ وَالْأُنْثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْكِيَ الْمَوْتَى» (سورة القيمة الآيات ٤٠ - ٣٦) ، «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنْ بَعْثَتِ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْنَغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرُ مُخَلَّقَةٍ لَنَّبِينَ لَكُمْ وَتَرَكَ فِي الْأَرْحَامِ مَا تَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمِّىٍ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طَفَلًا ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشْدَكَمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكِنَّا لَيَعْلَمُ مَنْ بَعْدَ عِلْمِنَا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَبْتَتْ مَنْ كُلَّ زَوْجٍ بَهِيجٌ» (سورة الحج الآية ٥) .**

يولد الإنسان ويأتي إلى الدنيا فإذا به يكون كمضغة لحم حية ، وينال عطف الوالدين وعانتهما ويکبر شيئاً فشيئاً ويتقوى مع ذلك جسمه وحسه وعقله وشعوره ويمر بمراحل صعبة من الحياة ، ولا يبلغ مبلغ الرجال إلا بعد ما عاش بين يأس ورجاء ، وقد تعقل وتعلم وبنى له مستقلاً زاهراً وهذه الفطرة

إلى أساليب العيش والمسايرة معها في تحقيق العلم بمعرفة الطريق إلى العبادة والطاعة وأداء ضرورة العبودية في ضوء المنهج الذي ألمحه الله تعالى الإنسان ، لنقرأ ما قال تعالى : «**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْكَارَ لَعْلَكُمْ تَشْكُرُونَ**» (سورة النحل الآية ٧٨) .

من خلال هذا العطاء الرباني كان الإنسان أشرف خلق يتولى قيادة العالم البشري ، واستخدام القوى والطاقة الكونية في سبيل الطاعة وأداء الأمانة التي عرضها الله تعالى على أقوى ما يمكن من كائناته المخلوقة ، على السماوات والأرض والجبال فأين أن يحملها إشفاقاً ما إذا عجز عن الأداء بأحسن طريق ، ولكن الإنسان هو الذي حمل أمانة العلم والدين والإيمان والعبادة بالنظر إلى مكانته العالمية التي كرم الله سبحانه بها وأنزل له من المنهج الوسط الذي يساعد في حمل الأمانة والسير على دربها التكامل والتوجيهات الإنسانية التي توصله لإنجاز هذه المسؤولية الكبرى : «**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّهَا مِنْهَا وَهَمْلَهَا إِلَيْنَا إِنَّهُ كَانَ ظَلَّوْمَا جَهُولاً**» (الأحزاب الآية ٧٢) .

إنها أمانة لا تساويها أمانة ، إنها أمانة الدين والعقيدة ، وأمانة الفرائض والحدود ، أمن بها الإنسان الذي لا يلاحظ الدقة في أدائه إلى المجتمعات البشرية كلها ، فكل إنسان مسئول بذاته عن وضعها في موضعها المعلوم ، بذلك يلتزم أفراد الناس بعضهم ببعض ويصنعون اجتماعاً يشعر فيه كل شخص بمسئوليته نحو الآخر ويعلم هذا الشعور بين بين البشر جميعاً ، حتى يمثل وحدة كاملة وجسداً واحداً وقوة واحدة ، تعبير عن مصداقية القول والعمل في ضوء قول رسول الله ﷺ : "مثـل المؤمنـين في توادـهم وتراحـهم وتعاطـفهم كـمثل الجسد الواحد إذا اشتـكـى منه عـضـو تـداعـى لـه سـائر الجـسد بالـخمـي والـسـهر" فـهـلا سـمعـنا هذه التـداعـيات في أوسـاطـنا ومجـتمـعـاتـنا نـحنـ المسلمينـاليـومـ ، أـلـيـسـ أنـ جـوهـرةـ الـوحـدةـ وـالـاخـوةـ تـبعـثـتـ وـغـاثـتـ فيـ أـدـرـاجـ التـارـيخـ وـغـضـونـ التـطـورـاتـ وـالـنظـريـاتـ المـادـيةـ ، رـغـمـ أنـ كـتـابـ اللهـ يـنـاديـ النـاسـ جـمـيعـاـ بـصـفةـ دائـمةـ مـدوـياـ بـمـجـلاـ: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَقْتُلُوا اللَّهَ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا**» (الأنفال الآية ٢٩) .

ورفت لواءها في الماضي انطلاقاً مع تعاليم الكتاب والسنة وتمثيلاً لدور القيادة العالمية ، منذ ذلك الوقت فقدنا ميزة الوسطية والقصد والاتزان في الأمور كلها ، وناسيماً ما قد أمرنا الله تعالى به من أحكام وأوامر ومن العدالة الاجتماعية ، وبدأنا نعيش على الهاشم ، ولا يأس أن نقرأ آيات من سورة الحجرات في هذه المناسبة ، قال الله تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بَتَّبَأْ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾** **﴿وَإِنْ طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِخْدَاهُمَا عَلَىٰ الْأَخْرَىٰ فَقَاتَلُوا أَنَّهُمْ تَبَغِيَ حَتَّىٰ تَبَغِيَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ *** **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَتَقْوَا اللَّهَ لَعْدُكُمْ ثُرَّحُمُونَ *** **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنابِرُوا بِالْأَلْقَابِ بَنْسَ الْأَسْمَاءِ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتَبَّعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ *** **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّنُنِ إِنَّ بَعْضَ الظُّنُنِ إِثْمٌ وَلَا تَجْسِسُوا وَلَا يَعْتَبِرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيْحَبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمًا أَخِيهِ مِنْتَا فَكَرِهَتُمُوهُ وَأَتَقْوَا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَابٌ رَّحِيمٌ**

أين نحن المسلمين من هذه الأحكام الصريحة والتوجيهات الربانية في هذا العالم المتتطور الذي عمّت فيه الأدواء النفسية والأمراض الخلقدية والاجتماعية ، وأهمارت فيه القيم الإنسانية والمثل العليا وغابت السلوكيات الرفيعة من الحياة والمجتمع ، وتركت التوجهات النفسية على المكاسب المادية وحب الشهوات والأهواء ، وقد انفلت الواقع الديني من حياتنا الفردية والجماعية ولم يعد للمواصفات الإيمانية والعقدية أي قيمة أو أهمية فتوزعت الأمة بين فرق وشعوب ، وقوميات وعنصريات ، وتحزبت بين أحزاب وفactions شني ، تقاتل ، وتحارب فيما بينها ، ولا تبالي بما إذا سالت الدماء أهاراً ، وامتلاك أرض الله تعالى حتى وأشلاء ، وخدمت الديار ، وتمزقت الأسر

والعائلات ، وتحول الإنسان (أشرف الخلق) إلى سباع ضاربات وتبعدت البلاد بالغابات المخوفة والصحاري القاحلة ؟
ذلك أن الأمانة التي حملها الإنسان وقعت فريسة الخيانة في معظم الأحوال ، وذلك ما أنتجه ما نراه اليوم من ضعف واستكانة أصيب بهما ، وصارا كأنهما من الأمراض المعدية ، التي تتعدى إلى جميع المجموعات الإنسانية ، وتنسيها متطلبات الحياة في هذا العالم ، حتى ينهار نظام العالم البشري ويعيش كالبهائم متحرراً عن جميع التقييدات الأخلاقية والقيم المشرفة فيتمثل تارة في صورة الذئاب الجائعة ، وتارة أخرى كالفيل المجنون المهاجم ، وثالثة كالسباع الضاربة ، ويتلذذ في سفك دماء الناس وقتل الأبرياء ، وقد يعجز عن اقتراف الجرائم بيده فيستأجر مجرمين لكي يقوموا بالجرائم التي ترتعد منها القلوب وتقشعر منها الجلود فيشفى غليل شهواته ويستلذ بمحرد روبيته الجرائم مفترفة على أيدي المجرمين .

ورغم أن التطور الحضاري والمعنوي لا يزال في نمو وازدهار ولكن ذلك وحده لا يكفي لعودة الإنسان إلى منصبه القيادي ، والقيام بالدور الريادي في هذا العالم المعاصر ، إنه يفتقر إلى كمية كبيرة من القيم الخلقدية العالية وتحقيق أهداف الإنسانية التي أحوج ما تكون إلى تنوير باطنها وإزالة سواد القلب ببيان الإيمان ونور العقيدة ، وبذلك تم تصفية أنقاض الحضارات المادية وإزالة الإفرازات السامة التي تسمم عقل الإنسان وتزكيه عن طريق العدل والخير ، المعروف :

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾
فما هو زاده في طريق الرجوع إلى ربّه تعالى في سعادة ونجاح !?
﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ **﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾**.

(والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

سعيد الأعظمي الندوبي

٢٠١٣/٥/٢٧ - ٢٠١٤/٥/٢٤

مايو ويونيتو ٢٠١٣ م

٧/٧

٤١٤٣٤ هـ ج ٥٨ - ج ١٠١

الإنسان في القرآن

يقال : سعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي
ترجمة من الأزديوية : محمد فرمان الندوبي

القرآن دستور إلهي : إن توجيهات الله تعالى للإنسان وإن كانت جديدة ، لكنها ليست جديدة عند الله عز وجل ، وهي جزء من علمه الدائم الباقي الذي لا يزول ، فإن علمه قد وسع كل شيء ، فلا يزال يفيض الله عز وجل على عباد مكرمين من الجن والإنس ما يحتاجون إليه من هذا البحر الذي لا ساحل له بواسطة ملائكته ، وعرف هؤلاء المصطفون بالأنبياء والرسل ، وأطلق على مجموعة من المعلومات التي أكرموا بها من الله عز وجل اسم الكتاب ، لأن خزانة العلم إنما تعرف باسم "الكتاب" الذي أنزله بألفاظه وتعبيراته ، وقد أنزل هذا العلم على الأنبياء والرسل الماضين ، وسي بالكتاب كذلك ، ومن أهم هذه الكتب : الزبور والتوراة ، والإنجيل ، والقرآن الكريم ، أنزلت هذه الكتب على أقوام شتى ، وأنزل القرآن بوجه خاص على أمّة محمد ﷺ ، وهو يشتمل على معانٍ مهمة ومفاهيم عالية ، ليكون دستور القيم العالية للنوع البشري وهاديا إلى الصراط المستقيم .

الجن والإنس : خلق الله الجن والإنس في المخلوقات الأرضية ، وأودعهما العقل والفهم ، وكان خلق الجن قبل الإنسان ، وأكرم الله واحداً من الجن نظراً إلى عباداته بمراتب عالية ، بحيث قربه الملائكة ، وأذن له بالإقامة في الجنة ، فلما قضى الله أن يخلق الإنسان ، وذكره أمام ملائكته الذين كانوا أعظم خلق سماوي من المخلوق الأرضي ، وكانت الطاعة فطرتهم ، وكان لا يمكنهم أن يفعلوا شيئاً ما ، بدون إذن منه ، قالوا : إن صفة الخلق الأرضي القتال وسفك الدماء ، مما فائدته وجوده ؟ رغم أننا مشتغلون بالحمد والتسبيح كل وقت ، رد الله تعالى عليهم بقوله : إني أعلم ما لا تعلمون ، اقرؤوا هذه القصة في القرآن الكريم :

(وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلملائكةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَتَخْنُقُ نَسْجَعَ بِحَمْدِكَ وَتُقْدِسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ

ما لا تعلمونَ وَعَلِمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَئْشُونِي بِاسْمَاءِ هُوَلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلِمْنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمَ أَنْتَهُمْ بِاسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَبَاهُمْ بِاسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَفْلَمْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبَدِّلُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (سورة البقرة الآيات ٣٠ - ٣٣) .

كان من حكمة الله أن يكرم الإنسان بصفة العلم ، فخلق الله خلقاً يجمع بين عبادة الله والشئون الأرضية ، وينجزها بأحسن وجه ، في ضوء التوجيهات الربانية ، فخلق الله أول إنسان وهو آدم عليه السلام ، وجعل له زوجه ، لتكثر ذريته ، وأوصاه بأنه إذا عاش باتباع أوامر الله واحتسب نواهيه نال شرفاً كبيراً وتحقق المهمة التي بعث الإنسان لأجلها إلى هذا العالم ، ثم أمر الله الملائكة وإبليس أن يسجدوا لآدم امثلاً لأمره ، فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس ، ظل قائماً على حاله ، فسأله الله عن عدم سجوده لآدم ، فقال : أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين ، والنار تفوق الطين ، هنا غضب الله على إبليس وأمره بالخروج من الجنة ، لأن الجنة ليست للعصاة المجرمين ، قال الله عز وجل : **(وَإِذْ قَلَّا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجَدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) (سورة البقرة الآية ٣٤)** فطرد إبليس من الجنة بالعصيان ، وصار عدواً لآدم عليه السلام مصاباً بالحسد والعصبية ، وجعل يقول : لاغوين أولاد آدم ، ولما طرد إبليس من الجنة طلب الإنذار والمهلة إلى يوم القيمة ، قال الله عز وجل : اذهب ، فإنك من المنظرين ، فمن تبعك منهم لأملئ جهنم منكم أجمعين ، وقال لآدم : احضر عدوك ، ولا تقع فريسة له ، ولا تقرب هذه الشجرة فتكون من الظالمين ، قال الله عز وجل في القرآن :

(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَا مِنْهَا رَغْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) (سورة البقرة الآية ٣٥) .

أي وإن جميع أسباب الجنة متوفرة ومتاحة لك سوى هذه الشجرة ، ثم مكر الشيطان بعد مدة أن تمهد طريق العصيان لآدم ، ونبي آدم أن الله تعالى منعه من الشجرة ، فخدعه الشيطان وذكر له فوائد هذه الشجرة ورغبه إليها وقال له : تذوق قليلاً ، تجده فائدة بأنك تكون من الخالدين في الجنة ، قال الله تعالى : **(فَأَرَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ) (سورة البقرة الآية ٣٦) .**

أكل آدم وزوجته حواء ثمر الشجرة بتسبيح ، فنبههما الله تعالى وقال :

مايو ويونيو ٢٠١٣

٩/٩

١٤٣٤ ج ١٠٠ - ٥٨٠ رب وشعبان

نالوا حزاء صالحاً ، والذين اتبعوا الهوى ، ونبدوا مرضاه الله وراءهم ظهرياً ، - ييد أن الله هو خالقهم ومالكهم وهو على كل شيء قادر ، وقد وفر الله الأسباب والوسائل التي يحتاج إليها الإنسان ، وكلفهم أن يمثلوا أوامرها ، فلماذا ارتكبوا السيئات - فإنهم يعاقبون عقاب سيئاتهم هكذا أطلع الله عن وجل الإنسان لعرفة الخير من الشر والعمل بالخير ، على منهجين : القرآن الكريم ، وحياة النبي محمد ﷺ ، الذي طبق أحكامه تطبيقاً دقيقاً على المجتمع الإسلامي ، فكانت هاتان الوسائلتان طريقاً لعرفة طاعات الله عن وجل .

إن هذا الكون الذي خلقه الله عن وجل جعل له خصائص وميزات ، وذكر خصائص مخلوقاته ونشاطاتها وفوائدها ، وأودع في الإنسان الموهاب التي يستطيع الإنسان أن يدرك بها المعلومات النافعة والمهمة له ، فيستفيد الإنسان منها حسب مقدرته ، كلما احتاج إليها .

خلق الله جميع ما في الكون بحيث يستغل كل شيء بطاعة ربه والشكر له ، فهو مفطور عليه ، كأنه مسيرة له ، قال الله عن وجل : **(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكُنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِحُهُمْ)** (الاسراء الآية/٤٤) .

لكن الإنسان وأجنه جعلا مخيرين إلى حد كبير ، في الطاعة والشكر لله ، ليعرف أن خلقه هذا مع تكرمه بالنعم والمن من الله يشكر الله عن وجل أم لا ؟

العالم عالمان :

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم ضمن بيان الإنسان عالمين اثنين ، أولهما عالم أرضي ، نعرفه بالدنيا ، وآخرهما عالم سماوي ، وهو يخرج من الحواس الإنسانية الخمسة وفهم الإنسان الديني المحدود ، يوجد في عالمنا الأرضي حيوانات ومخلوقات دنيوية أخرى ، وتحدث فيه الأحوال البدنية للحياة والشؤون المندرجة ضمن هذا العالم ، أما العالم السماوي فهو يرتبط بعقائد الإنسان وكونه صالحاً أو طالحاً ، ويظهر أثر الشؤون الدينية في نشاطات أعمالنا لكن أثر الشؤون الروحية يتحلى في الحياة الثانية التي تكون

بعد فناء هذه الحياة من الله عن وجل ، وهذه الحياة الأبدية التي نعرفها في المصطلح الديني بالآخرة يُجزى فيها الإنسان جراء أعماله الصالحة ويعاقب على ذنبه ، إذا كان العمل صالحاً وجد الراحة الدائمة والنعمة الباقة ، وإذا كان سيناً أصيب بالأذى المنقطع النظير أو العذاب ، قال الله عن وجل : **(تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزِيَ اللَّذِينَ**

(أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تَلْكُمَا الشَّجَرَةِ) اسماع ! ليست الجنة للعصاة ، أنتما خلقتما من الطين ، فاذهبا إلى عالم الطين ، هذا عقابكم ، وجعلنا يتضرعا إلى الله ويستغرنـاه ، فنظر الله إلى نسيائكم واستغفارـهم نظرة رحمة ، وقال : قد غفرت ذنبـكم ، لكن يكون لكم ولذرـتكـما ابتلاء وامتحان ، بحيث تعيشـون في الأرض ، وينظر الله إليـكم أنـكم كـم تقدمـون عـواطفـ الفداءـ إـليـهـ ، وكم تحققـونـ الـهدفـ الـذـي خـلـقـتـمـ لأـجلـهـ ، تـمـكـثـونـ فـيـ الـدـنـيـاـ إـلـىـ مـدـةـ ، وـتـدـخـلـونـ الجنةـ بـطـاعـاتـكـمـ وـأـعـمـالـكـمـ الصـالـحةـ .

ومع ذلك ، فقد حذر آدم عليه السلام من إبليس أنه يعيش معك في الأرض ، فتنبه ! ألا يخدعك وذرـتكـ ، هـكـذاـ أـسـكـنـ الإـنـسـ وـالـجـنـ فـيـ هـذـهـ الأرضـ ، وـصـرـفتـ عـنـاـيـتـهـمـ إـلـىـ نـيـلـ الـعـلـمـ تـحـقـيقـاـ لـلـحـاجـيـاتـ الـتـيـ يـشـعـرـانـ بـهـاـ فـيـ هـذـهـ الـدـنـيـاـ ، وـأـلـهـمـاـ قـوـتاـ الـفـهـمـ وـالـاستـفـادـةـ لـيـسـتـفـيدـاـ مـنـ الـوـسـائـلـ الـتـيـ وـفـرـهـاـ اللـهـ تعـالـىـ فـيـ الـأـرـضـ ، وـيـنـجـزـاـ أـعـمـالـهـمـ ، فـجـعـلـ الإـنـسـانـ يـخـتـارـ الـوـسـائـلـ وـيـطـبـقـ

أـكـرمـ الإـنـسـانـ بـالـعـلـمـ ، وـطـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـسـتـعـملـهـ فـيـ الـخـيـرـ ، وـيـكـيـزـ بـهـ بـيـنـ الـخـيـرـ وـالـشـرـ ، وـيـؤـدـيـ وـاجـبـ الشـكـرـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ ، لـأـنـهـ مـنـحـهـ نـعـماـ كـثـيرـةـ وـأـلـاءـ جـسـيـمـةـ ، وـلـاـ يـتـمـ هـذـاـ الشـكـرـ إـلـاـ بـطـاعـتـهـ وـعـبـادـتـهـ ، قـالـ اللـهـ عـنـ وـجـلـ :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ * مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ دُوَ القُوَّةِ الْمُتَّبِنِ) (سورة الذاريات الآيات/٥٦ - ٥٧)

وـقـالـ : **(خـلـقـ الـمـوـتـ وـالـحـيـةـ لـيـلـوـكـمـ أـيـكـمـ أـخـسـنـ عـمـلـاـ وـهـوـ الـعـزـيـزـ وـرـبـكـ الـأـكـرـمـ)** وـقـالـ : **(أـقـرـأـ بـاسـمـ رـبـكـ الـذـيـ خـلـقـ * خـلـقـ الـإـنـسـانـ مـنـ عـلـقـ * أـقـرـأـ وـرـبـكـ الـأـكـرـمـ *** الـذـيـ عـلـمـ بـالـقـلـمـ * عـلـمـ الـإـنـسـانـ مـاـ لـمـ يـعـلـمـ) (سورة العلق الآيات/١ - ٥) وـقـالـ : **(إـنـمـا يـخـشـيـ اللـهـ مـنـ عـبـادـهـ الـعـلـمـاءـ)** (سورة الفاطر الآية/٢٨) .

الوحي الإلهي والكتب السماوية : منح الله عباده المكرمين من الأنبياء حظاً من علمه الواسع ، في صورة كتبه التي أنزلها على سيدنا داؤد وموسى وعيسى وفي الأخير القرآن الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ ، فإنكم تلقواها بالملائكة ، وبلغوها إلى الناس ، فكشفوا أمامهم محسن الأعمال ومساوئها ، فتمت الحجة عليهم في هذا الشأن بعد نزول التوجيهات الربانية ، بأنه إذا بعثوا يوم القيمة سئلوا عن أعمالهم الصالحة والسيئة ، فالذين تبنوا المنهج الصحيح وأثروا رضا الله على رضاهـمـ ،

وطرد إلى الأرض ، ونزل غضب الله عليه بقوله : **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ إِنِّي خَالقٌ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقُعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لَمَا خَلَقْتُ لَمَا خَلَقْتُ بِيَدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالَمِينَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتُهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّين﴾** (سورة ص الآيات ٧١ - ٧٨).

رَسَحَ اللَّهُ هَذَا الْخَلْقَ الْجَدِيدَ (الإِنْسَانَ) لِإِقَامَةِ النَّظَامِ الإِلَهِيِّ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَأَكْرَمَهُ بِالْخَصَائِصِ الَّتِي تَسْاعِدُ عَلَى إِقَامَةِ هَذَا النَّظَامِ ، وَأَوْدَعَ فِيهِ صَفَةَ الْعِلْمِ وَالْاسْتِفَادَةِ مِنْهُ ، فَأَخْبَرَ بِهِ الْمَلَائِكَةَ ، فَقَالُوا وَهُمْ يَشْعُرُونَ بِمَحْدُوثِ نَزَاعٍ وَخَصَامٍ بَيْنَ أَفْرَادِ هَذَا الْخَلْقِ جَرَاءَ شَهْوَاتِهِ ، لِأَنَّهُ مُخْلُقُ الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ : إِنَّ هَذَا الْخَلْقَ يَسْفَكُ الدَّمَاءَ وَيَعْيَثُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ، وَأَفَادُهُمُ اللَّهُ بِعِزَّةِ الْعِلْمِ وَفَوَائِدِهِ الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا سَيِّدُنَا آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

يَتَمَيَّزُ الطِّينُ بِأَنَوَاعٍ مِّنَ الْخَصَائِصِ ، وَيُضَعَّفُ خَصِيَّصَةُ الشَّدَّةِ فِي الْجَدِيدِ

وَالْحَجَّارَةِ ، وَخَصِيَّصَةُ الْلَّيْنِ وَالنَّعْوَمَةِ فِي بَيَاتِهِ الْمُخْتَلِفَةِ وَأَحْرَازِهِ الْكَثِيرَةِ ، وَصَفَةُ النَّارِ فِي بَعْضِ أَفْسَامِهِ ، وَكَذَلِكَ وَضُعُّ اللَّهِ صَفَةُ الْبَرُودَةِ فِي الْمَاءِ وَصَفَاتِ الْخَضْرَوْعِ وَإِحْدَاثِ الْلَّيْنِ فِي الْأَشْيَاءِ الْأُخْرَى ، فَهَذِهِ الْخَصَائِصُ كُلُّهَا تَصْلِي إِلَى جَسْمِ الْإِنْسَانِ مُفَرِّدَةً مِنْ طَرِيقِ الْغَذَاءِ وَالْهَوَاءِ ، وَقَدْ مَنَّ اللَّهُ بِإِنْسَانٍ مُوَاهِبٍ الْقِيَامِ بِالْمَسْؤُلِيَّاتِ الْمُلْقَاهُ عَلَى عَاتِقَةِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فِي هَذِهِ الْأَرْضِ ، وَكَشَفَ حَقِيقَةَ الْإِنْسَانِ هَذِهِ بِهَذِهِ الْآيَةِ قَائِلاً : **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾** ، لَيْسَ هَذِهِ الصَّفَةُ فِي الْجَنِّ إِلَّا هَذَا الْحَدُّ ، لَأَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ نَارٍ فَقَطْ ، تَكُونُ آثارُهَا وَخَصَائِصُهَا حَادَّةً وَسَرِيعَةً ، وَلَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْرِيمَ الْإِنْسَانِ بِخَلْفَةِ الْأَرْضِ خَلْقُ مِنْ أَشْيَائِهِ الْمُخْلُوقَةِ الَّتِي تَرْكَبُ مِنْ مُوَاهِبٍ مُّنْوَعَةً ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ صَفَةُ الْعِلْمِ لِأَدَاءِ مَسْؤُلِيَّةِ الْخَلَافَةِ ، أَوْ أَخْيَرُ الْمَلَائِكَةَ بِصَفَةِ الْإِنْسَانِ هَذِهِ لِمَا سَأَلُوهُ ، وَذَكَرُهَا فِي الْإِنْسَانِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَتَحْنُنُ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَتُنَقْدِسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُونَ * وَعَلَمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلُّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةَ فَقَالُوا أَئْتُمْنَا بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَئْتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَفْلُ كُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا**

عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (سورة الفصل الآيات ٨٣ - ٨٤) . إنَّ الْعَالَمَ السَّمَاوِيَّ وَاسِعٌ ، وَمُمْتَدٌ فِي مَسَاحَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَهُوَ مُرْتَفَعٌ مِّنَ الْأَرْضِ وَقَرِيبٌ مِّنَ الْعَرْشِ الْإِلَهِيِّ ، وَكَانَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى خَصَائِصِهِ يَعِيشُ هَنَا خَلْقُ رُوحَانِيَّةٍ يَعْرِفُ بِالْمَلَائِكَةِ إِنَّهُمْ رَفِيعُونَ جَدًا ، وَهُوَ إِطَاعَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَنْقادُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَلَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ عَمَلٌ إِلَّا بِمَكْشِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنْ فَطَرُهُمْ تَخلُّوَ مِنْ إِرَادَتِكُمُ الْشَّخْصِيَّةِ ، وَهُمْ يَتَغَوَّلُونَ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَسْجُدُونَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبِّهِمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَقْعُلُونَ مَا يُوْمَرُونَ (سورة التحـلـ الآيات ٤٩ - ٥٠) .

حَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْعَالَمِ الْأَرْضِيِّ الْجَنُّ غَيْرُ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوانَاتِ ، وَأَوْدَعَ فِيهِمْ مُثَلُّ الْإِنْسَانِ عَوَاطِفَ الْخَصَائِصِ الْأَرْضِيَّةِ وَمُقْضَيَّاتِ النَّفْسِ ، وَلَيْسَ فِيهِمْ جَانِبُ الْهَوَى إِلَّا وَفَقًا لِلْطَّبِيعَةِ الْأَرْضِيَّةِ ، فَإِنَّهُمْ جَعَلُوا مُخْبِرِينَ فِي الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ ، فَيَقُولُونَ صَرَاعَ بَيْنَ هَوَى النَّفْسِ وَوَسَائِلِ الْخَيْرِ ، وَقَدْ حَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَنُّ قَبْلَ الْإِنْسَانِ ، فَنَالَ وَاحِدٌ مِّنْهُمْ مَكَانَةَ بَعِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَأَذْنَ لَهُ بِالْإِقَامَةِ فِي الْجَنَّةِ . طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ :

لَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي هُوَ حَالِقُ الْكَوْنِ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا آخَرَ فِي هَذِهِ الْكَوْنِ ، يَحْمِلُ الْحَيَّارَ فِي الْخَيْرِ وَالْشَّرِّ وَيَمْلِكُ مَوَاهِبَ مُمْتَازَةً مِنَ الْجَنِّ ، وَكَانَ أَسَاسُ خَلْقِ الْجَنِّ النَّارِ ، جَعَلَ أَسَاسَ هَذَا الْخَلْقِ الْجَدِيدِ الطِّينَ ، فَقُوَّيَ اتِّجَاهُ التَّسْرُعِ وَالْحَرَارَةِ فِي الْجَنِّ نَظَرًا إِلَى فَطْرَتِهِ ، وَتَكَوَّنَتْ طَبِيعَةُ هَذَا الْخَلْقِ الْجَدِيدِ (الْإِنْسَانِ) بِالنَّظَرِ إِلَى الطِّينِ ، فِي صُورَةِ التَّوَاضُعِ وَالْخَصَائِصِ الْمُنْوَعَةِ ، وَحَدَّثَ اتِّجَاهُ الْعَصْفِ وَالْحَقَّارَةِ ، لَأَنَّ الطِّينَ فَطَرَتِهِ وَضَيْعَةُ وَحْقِيرَةِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانًا مِّنْ طِينٍ﴾** (سورة المؤمنون الآية ١٢) ، فَنَشَأَ فِيهِ جَانِبُ الْهَوَى ، وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ذَكَرَهُ بِمَلِكِ نَفْسِهِ وَإِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ الْجَنِّ ، لِيَلْوَهُمْ مِنْ هُوَ أَحْسَنُ عَمَلًا؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : **﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِيهُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَلْوَهُكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾** (سورة الملك الآيات ١ - ٢) .

بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الْجَدِيدَ (الْإِنْسَانِ) خَلَقَ مِنْ طِينٍ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مَلَائِكَةِ الْجَنِّ وَالْجَنِّ يَتَعَظِّمُهُ وَالسَّجُودُ لَهُ ، رَأَى إِبْلِيسَ هَذَا الْأَمْرَ بَعْنَ الْحَسَدِ وَالْعَضْغِ ، وَاسْتَكْبَرَ هُوَ نَفْسُهُ بِعِبَادَتِهِ وَذَكْرِهِ ، وَكَرِهَ أَنْ يَسْجُدَ أَمَامُ الْإِنْسَانِ ، لَأَنَّهُ شَعَرَ أَنَّ مَكَانَتِهِ أَهْدَرَتْ مَقَابِلَ الْإِنْسَانِ ، وَلَمْ يَمْكُنْ أَنْ يَصِيرَ عَلَى هَذِهِ الْكَرَاهَةِ ، وَذَكَرَهَا أَمَامُ اللَّهِ ، فَعَوَقَ بَعْصِيَّانَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَخْرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ عَدَ ١٠ - ج٥٨ ربِّ شعبان ١٤٣٤ هـ ١٢/١٢ ميلاديو ٢٠١٣ م

مظاهر هذه الطبيعة :

وَبِمَا أَنَّ إِنْسَانَ خَلْقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْخَصائِصِ الَّتِي أَكْرَمَهُ بِهَا فَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِدِقَائِقِ طَبِيعَتِهِ وَأَفْسَامِهَا ، فَإِنَّ جَمِيعَ التَّوْجِيهَاتِ الَّتِي أَنْتَ إِلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ لَاحِظٌ فِيهَا قَدْرَاتِهِ الْفَطَرِيَّةُ الْعَمَلِيَّةُ ، فَهُوَ يَعْرُفُ أَنَّ هُوَ إِنْسَانٌ إِذَا أَثْرَ فِيهِ كَيْفَ تَكُونُ حَالَتُهُ ، وَمَاذَا يَكُونُ مَوْقِفُهُ وَصَلَاحِيَّتُهُ ، وَإِذَا ظَهَرَ عَلَيْهِ الرَّضَا الْإِلَهِيُّ كَيْفَ تَكُونُ حَالَتُهُ ، كَشْفُ الْقُرْآنِ عَنْ هَذِهِ الْمَوْاقِفِ بِكَلْمَاتِهِ ، فَتَارَةً يَسْتَعْمِلُ لَهُ كَلْمَةُ صَالِحٌ ، وَمُؤْمِنٌ ، وَمُسْلِمٌ وَكَافِرٌ وَمُشْرِكٌ وَفَاسِقٌ وَفَاجِرٌ وَغَوِيٌّ ، وَمُنْبِّهٌ وَكَنْوَدٌ ، وَظَلْمٌ وَجَهْوَلٌ ، وَعَجْوَلٌ ، وَقَنْوَطٌ وَيَنْوَسٌ ، وَشَكْوَرٌ وَكَفُورٌ وَحَلِيمٌ وَأَوَاهٌ ، وَتَارَةً يَسْتَعْمِلُ لَهُ : لَحْبُ الْخَيْرِ لِشَدِيدٍ ، وَهَلْوَعٌ وَجَزْوَعٌ ، وَمَنْوَعٌ وَمَصْلُحٌ وَمَفْسِدٌ ، وَسَعِيدٌ وَشَقِيٌّ ، وَمَفْتَصِدٌ وَسَابِقٌ إِلَى الْخَيْرَاتِ ، هَذِهِ الْكَلْمَاتُ تَبَيَّنُ تَنْوِعَ طَبِيعَتِهِ إِنْسَانٌ وَتَعْدِدُهَا ، فَقَدْ رَوَعَيْتَ هَذِهِ الْجَوَانِبَ فِي تَكْلِيفِهِ بِالْأَحْكَامِ الشَّرِعِيَّةِ ، وَأَخْرَى إِنْسَانٌ بِأَنَّهُ يَحْمِلُ أَصْوَلَ نَزَعَاتٍ مَنْوَعَةً ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَلْاحِظَهَا ، وَيَجْتَنِبُ جَوَانِبَ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تَرْشِدُهُ إِلَى الْبَهِيمِيَّةِ وَسُوءِ الْعَمَلِ وَلَا يَرْجُحُ كَفْتَهَا ، أَمَّا الْجَوَانِبُ الَّتِي تَذَهَّبُ بِهِ إِلَى الْخَيْرِ وَالْخَصَائِصِ الْإِنْسَانِيَّةِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَفِدَ مِنْهَا وَيَقُولُ لَهَا ، فَإِنَّهُ جَعَلَ مُخِيرًا فِي هَذَا الْأَمْرِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : **«لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ»** (سورة البقرة الآية/٢٨٦) .

التوجيه الريادي نحو نفسية الإنسان :

إِنَّ الْقُرْآنَ يَنْصُحُ إِنْسَانًا يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ أَحْوَالِ نَفْسِيَّةِ إِنْسَانٍ فِي سُلُوكِيَّاتِهِ وَطَبِيعَتِهِ ، وَذَكَرَ لَهَا قَصَصَهَا ، وَرَاعَى فِيهَا جَوَانِبَ النَّفْسِيَّةِ مَرَاعَاةً تَامَّةً ، مَثَلًا ذَلِكَ أَنَّ سُورَةَ الْعَادِيَاتِ تَبَيَّنَ مَوْضِعَ الْعَرَبِ الْمَهْمَمِ فِي الْحَرْبِ وَهُوَ عَدُوُ الْفَرْسِ وَسَرْعَتِهِ ، وَقَهْرُ الْأَعْدَاءِ بِالرَّكُوبِ عَلَيْهِ فِي جَانِبِ ، وَفِي جَانِبِ آخَرِ تَذَكَّرُ أَنَّ إِنْسَانًا يَكْفُرُ بِرَبِّهِ وَيَرْغُبُ فِي الْأَشْيَاءِ الْمَأْلُوفَةِ رَغْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى يَنْسَى الْأَضْرَارِ الَّتِي تَلْحُقُ بِهِ مِنَ الْانْقِطَاعِ عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ ، بِتَأْثِيرِ هَذِهِ الْإِبْتَاهِاتِ .

أَضَفَ إِلَى ذَلِكَ نَصِيحةَ الْقُرْآنِ إِيَاهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، شَاكِرًا عَلَى مَا أَنْعَمَ اللَّهُ مِنْ ذَهَابِهِ إِلَى الشَّامِ وَالْيَمَنِ فِي رَحْلَةِ الشَّتَاءِ وَالصَّيفِ ، وَصِيَانَتِهِ مِنَ الْأَخْطَارِ الْمُحْدَقَةِ بِهِمْ تَكْرِمَةً مِنَ اللَّهِ لَهُمْ ، لَأَنَّهُمْ كَانُوا سُدْنَةً بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ . كَذَلِكَ ذَكَرَتْ سُورَةُ الْعَصْرِ مَرَازِيَا إِنْسَانَ النَّاجِحِ ، وَالْجَزءُ الْآخِرُ مِنْ سُورَةِ الْحِجَّةِ تَنَاهَى بِيَانِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ الَّتِي كَانَتْ تَنَاهُ عَنْ سُفَهٍ وَحْمَقِ الْكَافِرِينَ

بَيْدُونَ وَمَا كَنْتُمْ تَكْتُمُونَ (سورة البقرة الآيات/٣٠ - ٣٣) .

بِالرَّغْمِ مِنَ الْخَصَائِصِ الْمُتَعَدِّدةِ فِي إِنْسَانٍ أَوْدَعَ اللَّهُ فِي طَبِيعَتِهِ جَانِبَ الْهَوَى لِيَمْتَحِنَ اللَّهُ هَذِينَ الْمُخْلُوقِينَ وَإِختِيَارُهُمَا فِي الْعَمَلِ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَتَبَدُّو كَمِيَّةُ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ تَعَالَى وَكَمِيَّةُ الْأَعْمَالِ الْخَاضِعَةِ لِلْأَهْوَاءِ ، لِيَكُونَ الْقَضَاءُ الْمُرْمَ

لِلَّدْخُولِ فِي الْجَنَّةِ وَالْإِنْتِفَاعِ مِنْ نَعِيمِهَا ، وَدُخُولُ جَهَنَّمَ بِالْحَيَاةِ الْمُخَالَفَةِ لَهُمْ مِنْ الْهَوَى تَعَالَى ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ **«تَلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْنِينَ *** مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَيْهِ الْسَّيِّئَاتُ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

(سورة القصص الآيات/٨٣ - ٨٤) ، وَقَالَ : **«مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا *** وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالَحَاتِ مِنْ ذَكْرِ أَوْ أَنَّهُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ تَقْبِيرًا (سورة النساء الآيات/١٢٣ - ١٢٤) وَقَالَ : **«فَإِذَا جَاءَتِ الْطَّامِةُ الْكُبْرَى *** يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى

(سورة النازعات الآيات/٣٤ - ٤١) .

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْوَحْيُ وَالْمُوْهَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي أَكْرَمَ بِهَا إِنْسَانٌ ذَرِيعَتِينَ لِعِرْفَةِ رَضَا اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِدَأَ إِرْسَالَ رَسْلِهِ وَأَنْبِيَائِهِ لِيُطَلَّعَ النَّاسُ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْفَاسِدَةِ ، وَيَهْدِيَهُمْ وَفَقَاءً لِأَزْمَاهُمْ وَأَوْضَاعِهِمُ الْخَاصَّةِ ، وَقَدْ اسْتَمْرَتْ هَذِهِ السُّلْسَلَةُ ، وَحِينَمَا بَدَأَ الْعَهْدُ الْأَخِيرُ اصْطَفَى اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ كَآخِرِ رَسُولِهِ تَكْمِلَةً لِلْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ الَّتِي نَزَّلَتْ عَبْرَ الْقُرُونِ ، وَسَمَّى مَجْمُوعَةً هَذِهِ الْأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : **«ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَتَصْرِّفُنَّهُ قَالَ أَفَرَأَتُمْ مَا أَخْذَنُتُمُ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَأَشْهَدُهُمْ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ *** فَمَنْ تَوَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * أَفَغَيْرُ دِينِ اللَّهِ يَعْنُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * قَلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَعْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَى إِلَيْهِمْ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

(سورة آل عمران الآيات/٨٥ - ٨٦) .

وَالَّذِي يُرْجَعُونَ * قَلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَعْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَى إِلَيْهِمْ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ

(سورة آل عمران الآيات/٨٥ - ٨٦) .

ع ١٠ - ج ٥٨/ رجب وشعبان ١٤٢٤ هـ

مايو ويونيو ٢٠١٣ م ١٤/١٤

وَجَلٌ : **«وَهَدَيْنَاهُ التَّجْدِينَ»** (سورة البلد الآية/١٠) وَنَحْنُ نَلَاحِظُ أَنَّ نَفْسَكَ إِذَا مَالَتْ إِلَى الْعَصِيَانِ فَتَمْلِكُهَا أَمْ لَا ؟ لَأَنَّ هُنَاكَ مَنَافِعٌ تَلْهُفُ إِلَيْهَا نَفْسُكَ ، فَتَرِيدُ أَنْ تَعْصِي ، الْأَمْرُ الْمُلْهُمُ أَنْكَ تَرْجُحَ كَفَةَ النَّفْسِ أَوْ جَانِبَ الْمُلْكِ ، فَإِذَا أَطْلَقْتَ حَرَّةً ، كُنْتَ عَاصِيَ اللَّهَ ، وَكُنْتَ مَعَاقِبًا مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِذَا تَمَالَكَتْ نَفْسُكَ صَرَتْ مِيمُونَ الطَّبِيعَةَ وَمُبَارِكَ الْأَمْرِ ، وَكُنْتَ دَلِيلًا عَلَى إِنْسَانِيَّتِكَ لِأَنَّكَ خَلَقْتَ إِنْسَانًا ، لَا لَأَنْ يُضَافَ إِلَى زَمْرَةِ الْمُخْلُوقَاتِ نَوْعًا مِّنْهَا ، فَالْخَلَائِقُ كَثِيرَةٌ ، هُنَاكَ حَيَاتٌ وَعَقَارُبٌ وَبَهَائِمٌ وَأَنْعَامٌ وَسَبَاعٌ وَأَسْوَدٌ ، وَيُوجَدُ مُخْلُوقٌ مِّنْ كُلِّ نَوْعٍ وَمِنْ كُلِّ صَفَةٍ ، الْأَسْدُ يَأْكُلُ الْحَيَوانَاتِ ، وَالْأَغْنَامُ تَأْكُلُ النَّبَاتَ ، فَكُلُّ نَوْعٍ مِّنَ الْخَلْقِ مُوْجُودٌ ، وَكُلُّ صَنْفٍ مِّنَ الْحَيَوانِ هُنَاكَ ، فَمَا الْحَاجَةُ إِلَيْكَ ؟ الْحَاجَةُ إِلَى أَنْ تَمَثِّلْ سُلُوكَكَ ، وَخَلَقْتَ لِتَمَثِّلْ هَذِهِ السُّلُوكَاتِ وَالْتَّحْلِيَّةِ بِهَا .

مستوى عظمة الإنسان :

إن فكرة الدين في القرآن جامدة ومشتملة على صالح الإنسان ، وهي تتلخص في دستور كامل للحياة الإنسانية ، فلا اعتبار فيها لللغة ومنطقة ولون جنس وجغرافية ، إن الدين يعتبر أن الناس كلهم إخوة ، إلا أنه يفرق بينهم بالنسبة إلى صلاحهم وفسادهم ، ويقول : إِنَّمَا عِبَادُ اللَّهِ وَاحِدٌ ، وَأَوْلَادُ آبٍ ، فَيَأْمُرُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ وَيَنْهَا عَنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ وَالسُّجُودِ أَعْمَامُ الْمُخْلُوقَاتِ ، فَيُحِرِّرُ الْإِنْسَانَ بِدُورِهِ الرَّفِيعِ وَمَكَانِتِهِ الْعَالِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ ، لِيُؤْدِي وَاجِبَاتِهِ نَحْوَ اللَّهِ تَعَالَى حَسْبَ مَرْضَاهِ خَالِقِهِ وَمَالِكِهِ عَلَى هَذِهِ الْبَسِيطةِ .

فَكَمَا أَنَّ الْقُرْآنَ يَنْهَا إِنْسَانَ مِنَ الشُّرُكَ فِي قَسْمِ الْعِبَادَةِ وَيَأْمُرُهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ كَذَلِكَ يَنْهَا فِي دَائِرَةِ الْأَخْلَاقِ وَالسُّلُوكَاتِ مِنَ الْكَذْبِ وَإِحْلَافِ الْوَعْدِ ، وَالْخِيَانَةِ وَعَدَمِ الْأَمْانَةِ وَالْفَحْشَاءِ وَالْغَيْبَةِ وَالْحَرْصِ وَالْطَّمْعِ وَالْتَّطْفِيفِ فِي الْكِيلِ وَالْوَزْنِ وَالرُّشْوَةِ وَالرِّبَا وَالْبَغْضِ وَالْحَسْدِ وَالْأَدْوَاءِ الْخَلْقِيَّةِ الْأُخْرَىِ ، وَيَلْفِتُ نَظَرَ إِنْسَانَ مُقَابِلِ ذَلِكَ إِلَى اخْتِيَارِ حَصَالِ حَمِيدَةِ الْصَّدَقِ ، وَالْعَفْفِ وَالْأَمْانَةِ وَالْحَيَاةِ وَالْعَدْلِ وَإِيْفَاءِ الْعَهْدِ وَالْعَفْوِ وَالْإِيْثَارِ ، فَإِذَا تَحْلَى إِنْسَانٌ بِهَذِهِ الصَّفَاتِ كَانَتْ إِنْسَانِيَّتِهِ بِالْغَةِ إِلَى كَمَاهَا ، وَإِذَا نَقَصَ فِيهَا أَوْ فَرَطَ فِي أَدَائِهَا كَانَ مُسْتَوْاهُ مِثْلَ ذَلِكَ خَافِضًا ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : **«وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْأَوَالِّ الدِّينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَتَلَعَّنُ عَنْدَكُمُ الْكَبِيرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كَلاهُمَا فَلَا تَقْلِ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قُولًا كَرِيمًا وَأَخْفَضْ لَهُمَا جَنَاحَ الدُّلُّ مِنْ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمَهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا * رَبِّكَمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي ثُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّمَا كَانَ لِلْأَوَابِينَ غَفُورًا * وَآتَ ذَا الْقُرْبَى**

في أسلوب جميل ، لكن باختصار ، قال الله عز وجل : **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمْعُوهُ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ أَجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبُهُمُ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَقْدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ»** (سورة الحج الآية/٢٣) تأملوا ، إنكم تذهبون إلى الأصنام تحقيقاً ل حاجياتكم ، ولا تفكرون شيئاً فيما أن الأصنام لا يمكن أن تدفع الذباب منها ، بل إن الذباب إذا ذهب بنزورها وقرابينها ما استنقذوها ، فليس شيء أعجب من مدّي السؤال إليها ، فلو أصررت على هذا لظنكم الناس ضعفاء .

إن موقع الضعف هذه وأمثاله للطبائع الإنسانية توجد في القرآن الكريم ، ويشير القرآن إلى طبيعة الإنسان وطموحه وإصاباته بمركب النقص وبلاهة ذهنه ، وتلوح أمامنا من خلال القرآن صور شتى لقلب الإنسان وعقله وضميره .

ميزة الإنسان الحقيقة :

لماذا كان الإنسان أرفع مكانة من الحيوانات ؟ هل بيده ورجله ؟ هل بفمه وعينيه ، هل بطعامه وشرابه ؟ لا ، لأن هذه الأعضاء تملِكُها الحيوانات أيضاً ، فالإنسان يمتاز عن الحيوانات بنواحٍ شتى ، بحيث إذا أكلَ فكر فيما يأكل ، وإذا مشى أو مسَ شيئاً فكر فيه كذلك ، وقد أمره الله بأن لا يمد بيده ظلماً واعتداء على أحد ، بل يستعملها في صالح الناس ، وأكده أن ينفع نفسه وينفع الآخرين ، ولا ينظر بعينه نظرة سوء ، فإذا كان حراً في استعمال هذه الأعضاء لم يبق الفرق بين الحيوان والإنسان ، وخلقنا الله عز وجل إنساناً في معنى الكلمة ، وقد ذكر ذلك الله تعالى وقت خلق الإنسان أمم الملائكة :

«إِنَّمَا خَالقُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ

تعجب الملائكة من هذا الخلق الجديد ، وقالوا :

إِنَّ الْحَيَوانَاتَ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ ، وَالْمَلَائِكَةُ وَالْجِنُّ مُوْجَدُونَ ، أَمَّا عِبَادُكُمْ وَالسَّاجِدُونَ مِمَّا فَنَحْنُ أَوْلَى وَأَحْرَى بِهِ بِلِ الْكَوْنِ كَلِهِ مَكْبُ عَلَيْهِ ، فَلَا حَاجَةٌ إِلَى خَلْقٍ جَدِيدٍ ؟ وَلِمَا تَخْلُقُونَ إِنْسَانًا ؟ نَخْشِي أَنَّهُ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ؟

قال الله عز وجل بسلام : **«وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيلًا قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفَسِّدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ»** (سورة البقرة الآية/٣٠) رد الله عليهم : **«إِنَّمَا أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**

(سورة البقرة الآية/٣٠) أنت لا تعلمون الحكمة وراء خلق الإنسان ، أنا جد علیم بها ، إن عبادة الله وإن كانت مسئولة لازمة لكل مخلوق ، وهذه المخلوقات مسيرة لعبادته ، لكن مع ذلك كله خلق الإنسان وكرمه وخيره ، فإنك إذا شئت كفرت بالله ، لكن صلاحك يمكن في الطاعة ، وقد أمرت بها ، قال الله عز

حَقَّهُ وَالْمَسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّيْرًا * إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينَ وَكَانَ الشَّيَاطِينَ لِرَبِّهِ كُفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضُ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عَنْقَكَ وَلَا تَسْطُعُهَا كُلُّ الْبُسْطَ فَتَقْعُدُ مَلَوْمًا مَّخْسُورًا * إِنْ رَبَّكَ يَسْطُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادَهِ خَيْرًا بَصِيرًا * وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقَ نَحْنُ تَرِزُّقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلُهُمْ كَانَ خَطْبًا كَبِيرًا * وَلَا تَقْرِبُوا الزَّنِي إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَاهُ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَّا بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَلْعَجَ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلَمْ وَزَوْلًا بِالْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا * وَلَا تَمْسِحَ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجَبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مَمَّا أُوحِيَ إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنْ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلَوْمًا مَّدْحُورًا) (سورة بني إسرائيل الآيات/ ٢٣ - ٣٩).

الإنسان القرآني المطلوب :

ليست تعاليم القرآن لزمن دون زمن ، ولطبقة دون طبقة ، فإن توجيهاته وتعاليمه حتى فكرته عن الإنسان شاملة وجامحة ، فهذه الفكرة تضم إليها جوانب الحياة كلها ، التي يجعل الإنسان إنساناً قرآنياً مطلوباً ، مثل ذلك عدم الانتقام من الظالم ، والإحسان إلى الأعداء فضلاً عن الأخلاق ، واحتياط الرياء والبطالة والبخل والإسراف ، ومساعدة اليتامي والمساكين ، وإعانة الناس بعيداً من أي مصلحة ، وصلة الأرحام ، وخدمة الأبوين ، والشفقة على الصغار ، والتلاطف مع الأطفال ، وإكرام الكبار ، والإحسان إلى الجيران ، والتحلى بصفات القناعة والاستغناء عن الناس ، هذه الصفات كلها تأتي ضمن فكرة الإنسان القرآني ، وقد أكد الله عليها في القرآن الكريم لاختيارها في الحياة ، فقد اختارها الصحابة رضي الله عنهم في القرن الأول ، وعملوا بها ، وفهموها فهماً صحيحاً ، وقدموها مثلاً حسناً للحصول الإنسانية الحميدة والhammad المرضية ، وكانوا حامليها في العهد الملكي ، ولما قدموها المدينة تحمل الأنصار رضي الله عنهم المشاق في هذا السبيل وأعانتوا المهاجرين ، ذكر القرآن الكريم هذه المناسبة في سورة الحشر : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ عَدُوٌّ - ج ٥٨ / ١٠٠) رجب وشعبان ١٤٣٤ هـ ١٩/١٩ مايو ويونيو ٢٠١٣ م ***

خاصصة (سورة الحشر الآية/٩) وقد مدح الله في سورة الدهر مثل هذه الخصال : **(وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبَّهُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)** (سورة الدهر الآية/٨) . وسعت فكرة القرآن عن الإنسان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد حملت أمّة محمد على صاحبها ألف الف تحية وسلام هذه المسؤولية ، واعتبر من أعمالها الحسنة العمل الصالح بنفسها وتوفير الراحة لآخرين ، ورغبت إليه ، قال الله عز وجل : **(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَوْمَنُونَ بِاللَّهِ)** (سورة آل عمران الآية/١١٠) ، إن إرشاد الضال ، وابن السبيل وإماتة الأذى عن الطريق جزء من الإنسانية ، وإن نسيان الملة بعد الإتيان بها ، وعدم المن ، وطلب الشكر ، واحتياط من الرياء والسمعة يأتي ضمن فكرة القرآن عن الإنسان . فقد أمر عامة المسلمين : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنَّ وَالْأَذَى)** (سورة البقرة الآية/٢٦٤) ، لأن القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى ، فمن آداب الصدقات والخيرات أن تكون سرا ، لا يراه أحد ، وأن تكون بطوعية النفس ، لا بالإكراه ، هذا من علامات التفاق ومضاد لفكرة القرآن عن الإنسان .

يتجلّى من خلال هذا التفصيل سعة فكرة القرآن عن الإنسان وشمومها ، فهذه الفكرة جامعة تجمع أشكالاً متعددة من المحسن والمحمد ، فإن القرآن يركز على التواضع في جانب ، وفي جانب آخر يعلم إباء النفس وأنفتها ، كما أنه يجب اختيار الصبر على أحوال الفقر والفاقة كذلك يعلم العزة والحلال في بعض الأحيان ، فإن فكرة القرآن عن الإنسان تجمع بين هاتين القوتين : الجمال والحلال لنشر الأمن والرخاء في العالم ، فلا تحدث في المتندين إليها العجز والمسكينة والهوان بل تبرز فيهم العزيمة الصادقة ، والطموح ، والحرية وإباء النفس وثباتها .

فالإنسان القرآني المطلوب يحمل نظاماً شاملاً للأخلاق الإنسانية في الدنيا ، يوافق ومستواه الرفيع ، وجعله حسب القطرة الإنسانية ونسبة العمل ، سهلاً سائغاً للعمل ، بحيث يستطيع كل فرد أو ملة أن يعمل به في كل زمان ومكان ، وهذا من ثمار فكرة القرآن عن الإنسان أن العبيد صاروا حكاماً ، والخدم أمراء ، وصار الوظيف محترماً ، وتبدل الاحتطاط رقياً ، قال الله عز وجل : **(وَأَنْتُمُ الْأَعْلَمُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ)** (سورة آل عمران الآية/١٣٩) . ***

أعجَّامُ القرآنِ فِي عَالَمِ الْأَلْوَانِ !

بقلم : الدكتور عبد المجيد المدنى
(ميرالا ، الهند)

الحمد لله من خلق السماوات والأرض ، وجعل الألسنة المختلفة والألوان المتعددة آية للعلمين ، وقال تبارك وتعالى : **«وَمَنْ آتَاهُ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْخَلْفَ أَسْتَكْمُ وَأَلَوَانَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ»** (سورة الروم الآية ٢٢) والصلة والسلام على من أحب البياض ، وقال : (هي من حير شبابكم فالبسوها وكفنا فيها موتاكم) وعلى آله وأصحابه من السلف والخلف الذين اختاروا الطريقة البيضاء المستبررة مصبوغين بصبغة الله ، وسائلين : ومن أحسن من الله صبغة؟ وشاهدين على أنهم له عابدون ، وبعد .

فهذه محاولة متواضعة للتأمل كيف ربط الله بين العلم وخشية الله من جهة ، وبين معجزة الألوان من جهة ثانية ، ومع ذلك يشير المقال إلى الدلالات البنوية والبلاغية في التعبير عن الألوان وأثرها في جماليات القرآن ، وبالله التوفيق .

وإن ألوان الكائنات المختلفة المتعددة التي لا تخصى ولا تعد لها دليل قاطع على الله وعظمته ، وهو الذي أبدعها وتنوعها ، وصورها في أحسن تقويم ، فتبارك الله أحسن الخالقين . فاللون آية من آيات الله في الكون ، وشاهد على القدرة والإبداع الإلهي ، ونعمه من نعم الله تعالى ، ودعوة إلى التبصر بالقلب والتفكير بالعقل .

ويقصد علماء الطبيعة بكلمة اللون ، هو ما يظهر نتيجة تحليل الضوء (الطيف الشمسي) أو طول موجة الضوء ، وأما المصوروون والمشغلون بالصباغة فيقصدون باللون تلك المواد التي يستعملونها في التلوين ، نرى لكل شيء لونا خاصا ، فالعلم الحديث يقول : إن هذه الأشياء لا لون لها ، ولكنها تتتص بعض إشعاعات الطيف وتعكس البعض الآخر ، فيكتسب هذا الشيء لون الإشاعر الذي يعكسه وكما يدو على سطوح الأشياء ، لو لا هذه القدرة على امتصاص ضوء محدد في الكائنات لبدا العالم أسود قاتما .

ولقد اهتم العلماء بدراسة الألوان ، وبيان أثرها على الإنسان ، وأثبتوا ع ١٠١ - ج ٥٨ / ٢١ - ١٤٣٤ هـ ميلاد ويونيو ٢٠١٣ م ٢٠/٢٠

في ظل تجارب علمية وعملية أن اللون له موجات تؤثر في أفكار الإنسان ، كما أنها تؤثر في حركته الجسمية ، وقد أجريت تجارب متعددة بينت أن اللون يؤثر في إقدامنا ، وإحجامنا ، ويشعر بالحرارة أو البرودة ، وبالسرور أو الكآبة ، بل يؤثر في شخصية الرجل وفي نظرته إلى الحياة ، وأصبح للألوان في ظل النهضة العلمية علم له أصول واتجاهات ، تقوم على أساس من الدراسات المختلفة والبحوث المتنوعة .

ويؤكد الأطباء النفسيون أن تحليل استخدام المرأة للألوان وتجاربها معها يكشف لنا معلومات نفسية وثيقة الصلة بالتحليل النفسي ، بل يذهب البعض منهم إلى أن بعض الألوان لها آثار علاجية لبعض الإعاقات النفسية والجسدية ، ففي الصين والهند واليابان تستخدم الألوان في الطب البديل ، وبعيد اللون البرتقالي مفيدا في حالات الاكتئاب ، والأصفر لمرض السكر ، والأخضر للمصابين بالقرحة والحمول الروحي ، والأزرق البنفسجي لمرضى الصرع ، وعلى سبيل المثال تعد الألوان : الأحمر ، والبرتقالي ، والأصفر ، والبني - ألوانا ساخنة ، بينما تعد الألوان : الأزرق ، والأخضر ، والرمادي ألوانا باردة ، وبينما يدعو اللونان : الأزرق والأخضر إلى الحس بالأمان والهدوء والسلام ، أما الألوان : البني والرمادي والأسود ، فهي تثير الحزن والإحباط والقنوط ، وبالرغم من هذا ، يمكننا القول إن هذه المفاهيم ما زالت فردية ، وتختلف من فرد آخر .

الألوان في القرآن الكريم :

وقد ورد لفظ ألوان ومشتقاته في سبع آيات فقط من القرآن الكريم ، وهذا العدد يطابق عدد ألوان الطيف ، فقد ذكر لفظ ألوان نفسه في مواضع سبعة أيضا ولكن في ست آيات ، كإشارة من المولى عز وجل إلى الأطاف اللونية السبعة المعروفة التي يتكون منها الضوء الأبيض ، وكإشارة واضحة على أن الجسم الأبيض ينبع عدد ستة من الأشعة الملونة ويعكس شعاع ملون واحد فقط ! ويتضح من هذا نظرة القرآن الكريم للألوان من حيث تنوعها ، وأصلها ، ومصدرها ، فهنا نشير في ضوء القرآن الكريم إلى قدرة الألوان على التأثير في النفوس .

الأصفر : ومن الثابت علمياً أن اللون الأصفر هو أقوى الألوان وأبرزها وأظهرها وأنفذها على الإطلاق ، كما أن في اللون الأصفر إيحاءات نفسية في الانجداب إليه والحب له ، وقد أجريت بحوث عديدة في مختلف دول

والمرض فهو يأتي معبراً عن كونه نذيراً لفقدان الحياة والحيوية والعدم والخطام ، وعلى العكس عندما يكون شديد النصوع مشوب باللون (فاقع) فإنه يعطي السرور والراحة للنفس .

الأخضر : ذكر لفظ (الأخضر) مرة واحدة ، وأتت مشتقات الكلمة سبع مرات ، وجاء لفظ (مدحامتان) وهو مرادف لدرجة من درجات اللون الأخضر وهو الأخضر الغامق ، فالمجموع ثالثي مرات ، فلتأمل ما في اللون الأخضر من الموحيات العظيمة الدالة على الحيوية والنعمة والجمال والسؤدد والبركة والخير والسعادة التي لا توصف .

قوله تعالى : **﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبِسُونَ ثِيَاباً حُضْرَانِ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَكَبِّنِ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكَ نَعْمَلُ الثُّوَابَ وَحَسْنَتْ مُرْتَفَقَا﴾** (سورة الكهف الآية ٣١) .

وقوله تعالى : **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ بَنَاتٍ كُلُّ شَيْءٍ فَأَخْرَجَنَا مِنْهُ خَصْرَا تُخْرُجُ مِنْهُ حَبَّا مُتَرَاكِباً وَمِنَ التَّخْلُلِ مِنْ طَلْعَهَا قَنْوَانٌ دَائِنَةٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَغْنَابٍ وَالرَّيْتَوْنَ وَالرُّمَانَ مُشَتَّبِهَا وَغَيْرُ مُتَشَابِهٍ أَنْظَرُوا إِلَيْنَا ثَمَرَهُ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنْ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** (سورة الأنعام الآية ٩٩) .

قوله **﴿مُتَكَبِّنِ عَلَى رَفَفِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حَسَانٍ﴾** (سورة الرحمن الآية ٧٢) .

وتوصل العلماء إلى أنَّ اللونَ الذي يبعث السرور والبهجة وحب الحياة هو اللون الأخضر لذلك أصبح اللون المفضل في غرف العمليات الجراحية لثياب الجراحين والمرضيات ، وأمامتنا تجربة أخرى تمت في لندن على جسر (بلاك فرايير) الذي يعرف بجسر الانتحار – لأنَّ أغلب حوادث الانتحار تتم من فوقه حيث تم تغيير لونه الأغير القائم إلى اللون الأخضر الجميل مما سبب انخفاض حوادث الانتحار بشكل ملحوظ ، حقاً ، يعيش الإنسان ، كذلك جميع الحيوانات التي تدب على سطح الأرض بسبب النباتات الخضراء والمنتجات النباتية التي لا يستطيع إنتاجها من المواد الخام على الإطلاق ، وبذلك يكون الكلوروفيل هو المادة المنتجة لجميع الأغذية النباتية أو الحيوانية .

الأبيض : أتى لفظ (أبيض) في موضع واحد في سورة البقرة في قوله تعالى : **﴿وَكُلُوا وَاشْرُبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تَلْكَ حَدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرِبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ**

العالم عن الألوان فكان اللون الأصفر هو الأكثر انسجاماً مع البيئة وخصوصاً للطلبة ، لذا تذهب الفصول الدراسية باللون الأصفر .

وقد جاء في القرآن الكريم لفظ (صفراء) مرة واحدة كما جاءت مشتقات اللفظ في ثلاثة مواضع معيرة عن اللون الأصفر ودرجاته ، فقد ذكر لفظ صفراء في سورة البقرة ، وذلك في وصفه للبقرة بقوله سبحانه وتعالى : **﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنُ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءٌ فَاقِعَ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّاظِرِينَ﴾** (سورة البقرة الآية ٦٩) .

فقد أجمع جمهور المفسرين في قوله عز وجل : صفراء أي أنها اللون من الصفرة المعروفة ، وفاقع لونها أي صافية اللون من شدها ، وقد ذكر القرطي عن ابن عباس "فاقع لونها أي شديدة الصفرة تقاد من صفرتها تبيض لسر الناظرين دلالة على جمالها وتألقها وحيويتها وذلك في عبارة موجزة بلاحقة ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في ضوء هذه الآية : من لبس نعلي أصفر قل همه لأن الله تعالى يقول **﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءٌ فَاقِعَ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّاظِرِينَ﴾** .

وقد جاء ذكر لفظ (صفرا) في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وأتت جميعها أمثلة يضرها الله تعالى للحياة الدنيا حين ينزل الله من السماء ماء وينبت به ثماراً وزرعاً يانعاً ، ثم يجف ويصبح صفراً ، ثم يكون بعد ذلك حطاماً ، وفي المرضع الأول في سورة الروم حيث يذكر المولى عز وجل : **﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًا لَظَلَّوْا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾** (سورة الروم الآية ٥١) ويلاحظ أنَّ اللون الأصفر هنا يرتبط بالحدب وقرب الهالك فهو يأتي هنا معبراً عن كونه نذيراً لفقدان الحياة والحيوية والعدم والخطام .

وأدت كلمة (صفر) في موضع واحد فقط في القرآن الكريم ليدل على اللون الأسود المخلوط باللون الأصفر ، وذلك في سورة المرسلات ، حيث وصف الله تعالى الشر المتطاير من هب جهنم - العياذ بالله - كما ورد في الآية **﴿كَانَهُ جَمَالٌ صَفَرٌ﴾** وجمالة جمع جمال ، وفي قراءة جمال صفر أي في هيئتها وكثرتها وتابعها وسرعة الحركة واللون ، وفي الحديث : شرار النار أسود كالقير ، والعرب يسمون سود الإبل صفراً لشوب سعادها بصفرة ، ويتبين من ذلك أنَّ الدلالات اللونية مثل الدلالات اللغوية لها صلة بالثقافة ، كما أنَّ لها دلالات نفسية ولها دلالات رمزية أيضاً .

ومما سبق يتضح أيضاً أنَّ اللون الأصفر يرتبط بالحدب وقرب الهالك

الأبيض ، وجاء لفظ غرائب مع لفظ السود ليوضح شدة درجة السود ، وقد وردت الآيات كما يلي : **﴿يَوْمَ تَبَيَّضُ رُجُوهُ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوَى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾** **﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنَ مَثْلًا ظَلَ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** وما سبق يتضح أن البياض هو قمة الصفاء والنقاء والوضوح ، والسود هو قمة القتامة والإعتماد ، وهو يتبعان في آية واحدة للتعبير – طباقاً للبلاغة – عن التباين الشديد بين لوبيتين متناقضتين أقصى التناقض لإبراز المعنى ، ويستعمل البياض في الطهر والقبول عند الله ، أما الأسود فيعطي الإحساس بالاكتئاب .

الأزرق : أنت كلمة (زِرْقاً) في موضع واحد ، وأنت بمعنى الحزن والهم ، ففي قوله تعالى : **﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَتَحْشِرُ الْمُجْرَمُونَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾** (سورة طه الآية/١٠٢) قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الأهوال والحزن ، فالمعروف أن لون الدم هو الأحمر ، وعندما يتحول إلى الزرق فهي تعني احتباس الأكسجين الشديد وفساده ، وهي أصدق تعبير عن الحشر ، وكلمة زرقا تدل على شدة الأزرق ، ومع ما يكتنفه من كآبة شديدة وحزن عميق وشعور بالإشراف على الموت .

فجاء اللون الأزرق في القرآن الكريم ليعطي دلالة عن الحزن العميق والشعور بالإشراف على الكآبة الشديدة ، وهو على العكس تماماً من اللون الأزرق الفاتح والذي يعرف في ألوان الطيف باللون الأزرق النيلي ، والذي يرمز إلى الحبوبة والرمانسية .

الأحمر : جاء مرتين ، وأنت كلمة (حَمْرٌ) في موضع واحد ، وذكر لفظ (حمر) صراحة في حالة الجمع ، **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفَةً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجَبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفَةُ أَلْوَانُهَا وَغَرَائِبُ سُودٌ﴾** (سورة فاطر الآية/٢٧) ، ثم لفظ (وردة كالدهان) وذلك في قوله تعالى : **﴿فَإِذَا انشَقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالْدَهَانِ﴾** (سورة الرحمن الآية/٣٧) يعبر لفظ درجة من درجات اللون الأحمر ، وأن السماء تصير في حرارة الورد وجريان الدهن ، أي تذوب مع الانشقاق حتى تصير حمراء من حرارة نار جهنم – والعياذ بالله – وفيه دلالة على أن اللون الأحمر هو لون

يَقُولُونَ (سورة البقرة الآية/١٨٧) وقد أتي لفظ (بيض) في سورة الصافات حيث وصف الله تعالى نساء أهل الجنة بأحسن ألوان النساء وذلك في قوله عز وجل : **﴿كَانُهُنَّ يَئِضُّ مَكْتُونٌ﴾** (سورة الصافات الآية/٤٩) أما لفظ بيضاء فقد ورد في ستة مواضع ، اثنين منها قال الله تعالى : **﴿وَتَرَعِي يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾** وأتي اللفظ كآبة ودليل باهر على قدرة الله تعالى حيث أمر سيدنا موسى - و كان أمر شديد السمرة - أمره أن يدخل يده في حبيبه ، فإذا دخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة من القمر لها لمعان تلألأ كالبرق الخاطف من دون ضرر أو سوء ناتج عن أي مرض كناية عن النقاء ، وفي الموضع السادس وصف الله تعالى في سورة الصافات حمر الجنة حاربة بيضاء أي أن لوها مشرق كما يظهر في هذه الآية صورة جمالية رائعة حيث شبه الله الكأس - لحماته وصفاته - عندما يحتوي على شراب طاهر فيه لذة للشاربين ، حيث قال عز وجل : **﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ، بَيْضَاءُ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾** .

وقد ورد لفظ (بيضت) في موضعين من القرآن الكريم الأول في سورة آل عمران في قوله تعالى : **﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضُتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾** (سورة آل عمران الآية/١٠٧) وتعني أهل الطاعة والوفاء ، والموضع الثاني في سورة يوسف **﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾** (سورة يوسف الآية/٨٤) أي اتّحق سوادها وبدل بياضها من بكائه ، ليدل على أن اللون الأبيض هو مضاد اللون الأسود . ويرتبط البياض هنا في سورة يوسف - على عكس باقي الآيات السابقة - بأمر مكرره وهو الضعف الشديد للعينين أو العمى نتيجة الحزن الشديد . وأتي لفظ (تبَيَّضُ) مرة واحدة في سورة آل عمران بما تعني إشارة إلى النقاء والطهارة والصلاح حيث قال تعالى : **﴿يَوْمَ تَبَيَّضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرُهُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾** (سورة آل عمران الآية/١٠٦) .

الأسود : ذكر لفظ (الأسود) ومشتقاته سبع مرات في ست آيات ، منها مرتان جاءت لتعبر عن كنه اللون الأسود ، وقد وردت كما يلي : **﴿وَكُلُوا وَأَشْرِبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخِيطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾** كما جاء ذكر مشتقات لفظ الأسود خمس مرات لتعبر عن وصف الكفار والمنافقين بأن وجوههم مسودة ، وهذا تعبر معنوي دلالته أن اللفظ الأسود جاء ليعبر عن الحزن الشديد ، وعن مدى قاتنه وعلى أنه عكس

دراسة أدبية وتاريخية :

النويري وكتابه نهاية الأرب

بقلم : الدكتور محمد بن سعد الشويعر

رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" الرياض - (المملكة العربية السعودية)

كان مجلساً ضم نخبة من العلماء ، وجرى الحديث في الموسوعات الكبيرة ، من تراث العرب ، أيها أكثر أجزاء ، وأوسع معرفة ، وأشمل في الطرح العلمي ، واستثنوا من ذلك ، كتب الحديث والتفسير التي هي معروفة لدى الجميع .

فكل طرح وجهة نظره ، وصاروا بين مشرق ومغرب ، فمن قال في التاريخ قدم ابن كثير ، ومن قال في السير ، قدم ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وقال : من يتحمس للخطيب البغدادي ، في كتابه تاريخ بغداد ، ومن قال في التفسير ، قدم الطبرى في تفسيره ، وهكذا تباين الآراء ، حسب ما يقرأه كل شخص .

لكن رشح في هذه ثلاثة كتب ، لأن كل واحد منها يأتي ، بفنون متعددة ، وليس كتابه مقصوراً على فن ذاته : هي : الأغاني ، لابي الفرج الأصفهانى وصح الأعشى ، للقلقشندى ونهاية الأرب للنويري .

قدار النقاش العلمي ، الذى بموجبه استبعد الأغاني : لما على أبي الفرج الأصفهانى ، من شطحات ، ولأن كتابه حسب اسمه متخصص فيما يدور على العنوان ، الذى تدور فى فلكه مادة الكتاب .

يقي الموازنة بين صبح الأعشى تأليف أحمد بن علي للقلقشندى المتوفى عام ٥٨٢١هـ ، فمدح فيه من أعجبه الكتاب لشخصه في فن الإنشاء ، ولأنه مفيد في هذا الميدان ، وهو ١٤/مجلداً ، فجاء من يغلب عليه : نهاية الأرب في فنون الأدب ، لأحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى عام ٧٣٣هـ ، الذى بلغ ٣٠/مجلداً ، وقد بدأ في السماء والآثار العلوية ، والأرض والعالم السفلي ، في الفن الأول .

النار بما تحتويه من قوة وإثارة وسخونة شديدة .
واحتتماماً لهذه العجالة نشير إلى لفظين وردان في القرآن الكريم ويدلان على شدة اللون وهما : فاقع ، وغرائب ، وقد ذكر كل منهما مرة واحدة ، وارتبط أولهما بلفظ صفراء ليوضح شدة نصوح اللون الأصفر درجة من درجات اللون الأصفر المشوب بالبياض حيث إن "فاقع" في اللغة تعني الباهت أو الصافي ، وجاء الآخر مع لفظ سود يوضح شدة درجة السواد . وعندما ندير أبصارنا من الجبال المتعددة الألوان إلى الجبل الأسود الغريب أو منه إلى الجبال ذات الألوان المتعددة تستشعر تقبلاً فيبعث السرور كما في استخدام المقابلة والطباق في الشعر والأدب .

طبعاً ، أن للألفاظ والآيات القرآنية التي تعالج وتدل على اللون لها دلائل خاصة وعدة وظائف منها : الدلائل التعبيرية ، والدلائل الرمزية ، والدلائل الحسية ، والدلائل الجمالية والتزيينية ، فالألوان وما فيها من بديع صنع الله كلها يقوم معجزة أمام العالمين في كل عصر ومصر وكلها ينبئنا أن نذكر الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبنا ، ونتفكر في خلق السماوات والأرض قائلين : ربنا ما حلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار .

مصادر يمكن الرجوع إليها :

- ١- أضواء البيان : ٤٧٢/٢ .
 - ٢- في ظلال القرآن الكريم ١٤٩/٦ .
 - ٣- المجلة العربية (السعوية) عدد مارس ١٩٨٥ .
 - ٤- مجلة هو وهي المصرية العدد ١٩٠ السنة السادسة عشرة .
 - ٥- مجلة العلم المصرية العدد ٢٨١ فبراير ٢٠٠٠ .
 - ٦- مجلة الكويتية العدد ١٤٩ شوال ١٤١٦ - مارس ١٩٩٩ م .
 - ٧- مجلة طبيك الخاص عدد أبريل / نيسان ١٩٩٨ م .
 - ٨- مجلة الأهرام العربي المصرية - أحد الأعداد .
 - ٩- مجلة المنهل السعودية العدد ٥٢٠ .
 - ١٠- أسرار العيون - المكتبة الطيبة - د. محمود مصطفى - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت - لبنان .
- ****

وانتهى بالفن الخامس : في التاريخ ، ويشتمل على خمسة أقسام كل قسم تحته أبواب ، والقسم الخامس خصصه : لأخبار الملة الإسلامية ، وذكر

شيء من سيرة الرسول ﷺ ، وسيرة الخلفاء الراشدين .

وجعل تحت هذا القسم اثنى عشر باباً ، يشتمل الأخير على أخبار الملوك العبيدين الذين نسبوا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وانتهى بالسلطان : قلاوون الصالحي ، الذي عاصر المؤلف ، ودعاه قائلاً خلد الله

ملكه على مر الزمان .

قال أحدهم : إن النويري في كتابه هذا ، قد تجاوز فيه المائة مجلداً ، ولكن اختصره إلى الثالث فجاء الاختلاف عما وصل إليه هذا الكتاب ، الذي توالي التحقيق عليه بمجموعة من المختصين ، ولما كان الاهتمام بما وصل للقارئ الكريم ، من هذا الكتاب .. الذي يعتبر بحق موسوعة علمية ، في فنون كثيرة من تراث العرب ، وإن اختلف القراء بما وصل إليهم من هذا الكتاب ، فإنه قد عهد إلى من عنده آخر جزء ، لأنه أقرب إلى النهاية .. باعتبار أن النهاية لم يقطع بها الجميع .

فكان ذلك الجزء الأقرب هو الجزء رقم "٣١" ، الذي أشرف عليه : الهيئة المصرية للكتاب عام ١٤١٢هـ الموافق لعام ١٩٩٢ ، فإن الجزء الأول : أشرف عليه : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة ، للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، ولم يحدد التاريخ .. وكتب بدل التحقيق والتاريخ : نسحة مصورة عن طبعة دار الكتب ، مع استدراكات وفهارس ، وتولت طباعته : "مطابع كوستاتسوماس" وشركاه بالقاهرة ، وأستمر على هذا المنوال حتى الجزء "١٨" .

ولم يبدأ التحقيق إلا من الجزء "١٩" ، حيث طبع هذا الجزء بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم بالقاهرة "١٣٩٥" - ١٩٧٥م والجزء "٢٠" حقه : محمد رفت فتح الله ، وراجعه إبراهيم مصطفى ، أما الجزء "٢١" فقد حقه على محمد البجاوي .

ويبدو أن الهيئة المصرية للكتاب ، التي تولت إخراجه ، قد نشطت فيما بعد ، وعهدت إلى مجموعة متعددة من المختصين بتحقيق ، والمراجعة ، فكان آخر ما وصل إلينا علمه الجزء "٣١" الذي حققه د. الباز العربي ،

وراجع د. عبد العزيز الأهواي ، وتولاه مركز التراث والتحقيق ، تحت إشراف الهيئة المصرية للكتاب عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

فالكتاب لم ينته بهذا الجزء لأنه جاء في ص ٤١ قوله واستهلت سنة سبعمائة يوم الجمعة ، وجاء في الخاتمة بنتها الكتاب ، يتلوه إن شاء الله أول السفر الموف ثلاثة ، بترتيب المؤلف ، بينما بترتيب الحقين والطبع يعتبر الجزء "٣٢" ، الذي بدأ أخباره ، بأحداث عام ١٧٠١هـ ، علما بأن المؤلف كانت وفاته عام ٧٣٣هـ ، والذي يقوم عليه بالقاهرة : مركز تحقيق التراث .

هذا في التعريف بالكتاب ، الذي كثر التساؤل عنه ، لأهميته ، وما فيه من معلومات ، استقاها من العلوم والأخبار ، لدى أهل الكتاب ، وغيرهم من الأمم السابقة .

فقد قال في سبب حدوث خلق السماء : أن الله تعالى ، خلق جوهرة ، وصف من طوها وعرضها ، أمراً عظيماً ، ثم نظر إليها نظر هيبة ، فانبعثت علاتها زيد من شدة الخوف ، ودخان فخلق الله من الزيد الأرض ، وفتقها سبعاً ، ومن الدخان السماء وفتقها سبعاً ، ودليله قوله تعالى : **﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ ذُخَانٌ﴾** وقوله **﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾** واختلف المفسرون في الأمر ما هو ؟ ومن الأقوال : أن الله أسكن الأرض ملائكته ، سخرهم للعالم السفلي ، فوكل طائفة بالسحاب ، وطائفة بالريح ، وجعل منهم حفظة لبني آدم ، وكتابين لأعمالهم ، ومستغرين لذنوبهم [١: ٢٩] .

ويقول عن أول بناء في الأرض : قيل : إنه أول ما بني على وجه الأرض "الصرح" ، ويسمى المحدل ، بناء التمود الأكبر بن كوش ، بن حام بن نوح ، بكوشى ربي ، من أرض "بابل" قيل : وبها إلى هذا العصر من أثره كالجبال ، وكان طوله في الهواء خمسة آلاف ذراع ، وعرضه ثلاثة آلاف ذراع ، وكان مبنياً بالحجارة والرصاص ، والكلس والشمع واللبان ، بناء ليمتعه وقومه من بأس الله عز وجل وكان قد كفر وطغى ، وادعى الألوهية ، فأرسل الله عليه جبريل ، فضرره بخافقة جناحه فهدمه ، وهذا نموذج لمنهجه في التأليف [١: ٧٢] .

وصدق الله العظيم ، بأن البشر ما عندهم من العلم إلا القليل ، وأن الأرض عمرها أقوام متالية ، أكثر مما عمره الإنسان الحاضر ، والله سبحانه في

حلقه شتون لكن نظرة القارئ في مثل هذا الكتاب : تزيده إيماناً بالله سبحانه وقدرته وعلمه .

طفيلي محدث :

جاء في كتاب التطهيل للبغدادي : أن أبا عمرو نصر بن علي ، قال : كان لي جار طفيلي ، وكان من أحسن الناس منظراً ، وأعذكم منطقاً ، وأطيبهم رائحة ، وأجملهم لباساً ، وكان من شأنه معي أن إذا دعيت إلى مساجد الناس من أجلني ، ويظنون أنه صاحب لي ، فاتفق يوماً أن أمير البصرة ، أراد أن يختن ولده ، فقلت في نفسي ، كأنى برسول الأمير قد جاء ، وكأني بهذا الرجل قد تبعني ، والله لعن تبعني لأفضحه .

فأنا على ذلك إذ جاء رسوله يدعوني ، فما زدت أن لبست ثيابي وخرجت ، وإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره ، وسبقي بالتأهب ، فتقدمت وتبيني ، فلما دخلنا دار الأمير ، جلسنا ساعة ، ودعا بالطعام ، وأحضرت الموائد ، وكان كل جماعة على مائدة ، لكثرة الناس ، فتقدمت إلى مائدة والطفيلي معي ، فلما مد يده ، وشرع في تناول الطعام ، قلت : حدثنا نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله : "من دخل دار قوم بغير إذنهم ، فأكل طعامهم ، دخل سارقاً ، وخرج مغرياً" ، فلما سمع ذلك قال : أنت لك والله يا أبا عمرو ، من هذا الكلام .

فإنه ما من أحد في هذا المكان ، إلا وهو يظن أنك تعرض به ، دون صاحبه أولاً تستحي أن تتكلم بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام ، وتبخل بطعام غيرك على من سواك .

ثم لا تستحي أن تحدث بهذا الحديث ، وهو ضعيف ، وتحكم برفعه إلى النبي ﷺ وال المسلمين على خلافه ، لأن حكم السارق القطع ، وحكم المغير أن يعزز ، على ما يراه الإمام ، وأين أنت من حديث حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج عن جابر ، قال : قال رسول الله : "طعام الواحد يكفي الإثنين ، وطعام الإثنين يكفي الأربعين ، وطعام الأربعين يكفي الشمائلة ، وهو إسناد صحيح ، ومن صحيح .

قال نصر : فأفهمني ولم يحضرني جواب له ، [ص/٦٦] .

الزراعة وإحياء الموات

بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد

(جمهورية مصر العربية)

عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغيرها) رواه الإمام أحمد ، والفسيلة هي الواحدة من صغار النخل ، تغرس في الأرض لتنمو وتكبر ، فتصير فيما بعد خلا ذات أكمام ، وهذا الحديث يعتبر معجزة من معجزات الإسلام ، فليس العجزة ما كان خارقاً للعادات فحسب ، بل أيضاً ما كان خارقاً في التوجيهات ، ونحن بحاجة لهذا الحديث أمام توجيه خارق ، أمام حالة خارقة من حالات الأمر والتکلیف ، مما يعني أن تقوم الساعة التي تعلن انتهاء الحياة ، ولا يصير للعمل جدوى ، لا سيما إذا تمثل في زرع نبتة أو غرس فسيلة تحتاج لزمان حتى يتفع بها أو بشرارها ، ثم نؤمر بألا ندخل في سكرات يوم القيمة وغمراها ، عما بأيدينا من زرع وغرس ، بل على الواحد منا أن يتم عمله ويغرس فسليته كما لو كان موكب الحياة لا يزال يمضي هادراً ، فإن كان الناس يمارسون الزراعة ، وقاموا القيمة بعنة فماذا يتضرر من الرسول أن يقول لهم ؟ نحن نتصور أنه سيقول لهم : كفوا عما تعملون ، وفروا إلى الله مستغفرين نادمين ، فإذا أخلف الرسول الضلن ، وقال : أتموا ما بأيديكم من زراعة ، فذلك أعجب ما يقال في هذا المقام ! وذلك أبلغ حتى وأجل حض على القيام بأعمال الزراعة (١) ومن الأحاديث التي تحت على القيام بالحرث والغرس والسقي ، أي أعمال الزراعة قوله عليه الصلاة والسلام : (التمسوا الرزق في خباب الأرض) أخرجه الترمذى (٢) ولم يكتف عليه الصلاة والسلام ، بهذه الأحاديث للحث على ممارسة الزراعة ، بل مضى في اتجاه آخر أيضاً حيث كان نهجه عند رغبته في توجيه المسلمين لعمل معين بين لهم فضله وثوابه في الدنيا والآخرة ، فيتسابقون إليه ويتنافسون فيه ، لا يهنا لهم بال ولا يرتاح لهم جسد ولا يغفل لهم جفن إلا بالاكتساب المزيد من الصدقات من حزاء هذا العمل ، لذا فقد جاءت الأحاديث الشريفة تتناول فضل زراعة الأرض باعتباره من الصدقات التي ينال عليها العبد جزيل الثواب ، روى الإمام

أحد أن صحابياً قال : سمعت رسول الله عليه الصلاة والسلام ، بأذني هاتين يشتر كأن فيه فإن المزارعة في هذه الحالة تكون فاسدة لما فيها من الضرر . ولأنها تقضي إلى النزاع (٧) .

من أحياناً أرضًا ميتة فله فيها أجر وما أكلت العوافي "أي السباع والطير والناس" منها فهو له صدقة (٨) ولا يتبدّل إلى الفهم من إطلاق لفظ الأجر إلا الأجر الأخرمي ، روى البخاري ومسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال (ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فباكل من طير أو إنسان أو بحيمة إلا كان له به صدقة) (٩) عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (سبع يجرب للعد أجرهن وهو في قبره ، من علم علمأً أو كري نهرأً أو وسع مجراه أو حفر بئراً أو غرس نخلاً أو بني مسجداً أو ورث مصحفاً أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته) رواه البزار وأبو نعيم والبيهقي ، وقد كان المسلمين واسعي الإطلاع في علم النباتات ، فقد أنشأوا الغابات والحدائق والبساتين ، وأدخلوا من النباتات في تحضير الأدوية ، ما جعله علماء اليونان في هذا الحال ، ومن الأقوال المأثورة التي قالها المؤرخون عن المسلمين إنهم يهتمون عند فتح البلاد بشيء هما تنظيم الحقل وبناء المسجد (١٠) .

والزراعة من فروض الكفاية ، التي يجب على الإمام أن يجبر الناس عليها ، وما كان في معناها ، كما قال القرطبي ، وإذا كانت الأرض ملكاً لمن لا يقدر على أن يقوم بأعمال الحرث والسقي كاملة ، فقد شرع الإسلام نظام المزارعة ، ومعنى المزارعة في اللغة أي المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها ، ومعناها هنا إعطاء الأرض لمن يزرعها على أن يكون له نصيب مما يخرج منها ، كالنصف أو الثلث أو الأكثر من ذلك أو الأدنى حسب ما يتفقان عليه ، والمزارعة نوع من التعاون بين العامل وصاحب الأرض ، فربما يكون العامل ماهراً في الزراعة وهو لا يملك أرضاً ، وربما يكون مالك الأرض عاجزاً عن الزراعة ، فشرعها الإسلام رفقاً بالطرفين ، وقد عمل بها رسول الله ﷺ ، وعمل بها أصحابه من بعده ، روى البخاري ومسلم عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ ، عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها ، من زرع أو ثمر ، والمزارعة الصحيحة من إعطاء الأرض لمن يزرعها على أن يكون له نصيب مما يخرج منها كالثلث والرابع ونحو ذلك ، أي أن يكون نصيبه غير

معيناً ، فإذا كان نصيبه معيناً بأن يحدد مقداراً معيناً مما تخرج الأرض أو يحدد مقدراً معيناً من مساحة الأرض تكون غلتتها له ، والباقي للعامل ، أو يشتري كأن فيه فإن المزارعة في هذه الحالة تكون فاسدة لما فيها من الضرر . ولأنها تقضي إلى النزاع (٧) .

أما إذا كانت الأرض مزروعة فعلاً بالشجر ، ولا يقدر مالكها أو صاحب الشجر ، أن يقوم برعايته فهناك نظام المسافة ، ومعنى المسافة في الشرع ، أي دفع الشجر لمن يقوم بسقيه وبتعهده ، حتى يبلغ تمام نضجه ، نظير جزء معلوم من ثمره ، فهي شركة زراعية على استثمار الشجر ، يكون الشجر فيها من جانب ، والعمل في الشجر من جانب آخر ، والثمرة الصالحة مشتركة بينهما ، بنسبة يتفق عليها التعاقدان كالنصف أو الثلث ونحو ذلك ، ويسمى العامل بالمساقي ، والطرف الآخر رب الشجر ، والشجر يطلق على كل ما غرس ، ليقي في الأرض سنة فأكثر ، من كل ما ليس لقطعة مدة ونهاية معلومة ، سواء أكان مثمراً أم غير مثمر ، وتكون المسافة على غير المثمر ، نظير ما يأخذه المساقي من السعف والخطب ونحوها ، والمسافة مشروعة بالسنة ، وقد اتفق الفقهاء على جوازها للحاجة إليها ، ما عدا أبي حنيفة الذي رأى أنها لا يجوز ، وقد استدل الجمهور من العلماء على جوازها بما يلي : روى البخاري أن الأنصار قالت للنبي عليه الصلاة والسلام : أقسم بيتك وبين أحواننا النخيل ، قال : لا ، فقالوا : تكفونا المؤونة "المؤونة أي العمل في البساتين من سقيها والقيام عليها" ونشر لكم في الثمرة ، قالوا : سمعنا وأطعنا ، فالأنصار أرادوا أن يشركوا معهم المهاجرين في النخيل ، فعرضوا ذلك على الرسول ﷺ ، فأبى فعرضوا أن يتولوا أمره و لهم الشطر فأجابهم ، وفي نيل الأوطار ، قال الحازمي : روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وسعيد بن المسيب و محمد بن سيرين و عمر بن عبد العزيز و ابن أبي ليلى و ابن شهاب الزهري ومن أهل الرأي أبو يوسف القاضي و محمد بن الحسن ، إنهم قالوا : تجوز المزارعة والمسافة يجزء من الثمر أو الزرع ، ويجوز العقد على المزارعة والمسافة مجتمعين ، فتساقيه على النخيل ، وتزارعه على الأرض ، كما جرى في خيبر ، ويجوز العقد على كل واحدة منها منفردة (٨) . كما شرعت الإجارة ، حاجة الناس إليها ، فهم يحتاجون إلى الدواب

للركوب ، ويحتاجون إلى الأرض للزراعة ، وإلى الآلات لاستعمالها في حوائجهم المعيشية ، وقد لا يقدرون على شرائها فشرعت الإجارة ، روى أئمدة وأبو داود والنسائي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال : كما نكري الأرض بما على السوق من الزرع ، فنهى رسول الله ﷺ عن ذلك وأمرنا أن نكريها بذهب أو ورق ، ويشترط لصحة الإجارة ، رضا العاقدين ، فلو أكره أحدهما على الإجارة فإنما لا تصح ، ويشترط معرفة المعقود عليها وشرعاً ، والقدرة على تسليم العين المستأجرة مع استعمالها على المنفعة ، وأن تكون المنفعة مباحة لا محمرة ولا واجبة ، وأن تكون الأجرة مala م تقوماً معلوماً بالمشاهدة أو الوصف لأنه ثمن المنفعة ، ويصح استئجار الأرض ، ويشترط بيان ما تستأجر له ، من زرع أو غرس أو بناء ، وإذا كانت للزراعة فلا بد من بيان ما يزرع فيها ، إلا أن يأذن له المؤجر بأن يزرع فيها ما يشاء ، والعين المستأجرة أمانة في يد المستأجر لأنه قبضها ليستوفي منها منفعة يستحقها فإذا هلكت لا يضمن إلا بالتعدي أو التقصير في الحفظ (٩) هذا بالنسبة للأراضي التي يعرف لها مالك ، أما تلك التي لا تكون مملوكة لأحد ، وتكون بعيدة عن العمران ، لكيلا تكون مرقاً من مراقبه ، كأن تأخذ كطريق أو مرابط للحيوان أو ملابع للخيل أو مستراثاً للرياضة البدنية ونحو ذلك أو يتوقع أن تكون من مراقبه ، فهذه الأرض يطلق عليها الأرض الموات (١٠) وحيث إن الإسلام دعا إلى عمارة الأرض ، وإصلاح فسادها ، ونشر العمران في ربوعها ، فوضع حافزاً قوياً تشجيعاً للمسلمين على المضي في تعمير كل شبر من الأرض ، ألا وهو امتلاك ما تستصلحه يداهم من هذه الأرض الموات ، وقد أجاز محمد بن الحسن والشافعي تملك الأرض التي تحيا إذا كانت لا ينتفع بها وإن كانت قريبة من العمران (١١) عن هشام بن عروة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ (من أحيا أرضاً ميتة فهي له وما أكلت العافية منها فهي له صدقة) رواه أحمد والنسائي وابن حبان (١٢) وفي رواية أخرى (من عمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها) رواه البخاري وأحمد ، وعن أسماء بن مضرس قال أتيت النبي ﷺ فبأيته فقال (من سبق إلى ما لم يسبق إليه مسلم فهو له) قال : فخرج الناس يتعاردون "أي يسرعون"

يختاطون "أي يضعون على الأرض علامات بالخطوط" رواه أبو داود ، وخطب عمر رضي الله عنه على المبر فقال : يأيها الناس من أحيا أرضاً فهي له ، أخرجه أبو عبيد في كتاب الأموال (١٣) وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال (من عمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها) قال عروة : وقضى به عمر في خلافته ، رواه البخاري (١٤) .

أما عن كيفية إحياء الموات : فيرى الخاتمة أن الإحياء للأرض يتحقق بما يتعارف عليه الناس ، وهو رأي سديد يتفق مع القواعد الشرعية ، خاصة إن الحديث الوارد في الأحياء لم يربط الإحياء بفعل معين ، فإن جاع ذلك إلى العرف أفضل ، لأنه مختلف باختلاف الزمان والمكان ، ويتحقق الإحياء ، بإزالة السبب المانع من الانتفاع بالأرض الموات ، فإن كان السبب في مواها فساد تربتها ، فإحياءها بحرثها وريها وإصلاحها ، وإن كان السبب غمراها بالماء ، فيكون إحياؤها بتحجيف المياه ، وإنشاء وسائل صرف المياه عنها ، وإقامة السدود حولها ، وإن كان السبب في مواها عدم وصول المياه إليها ، فيكون إحياؤها بإصالح المياه إليها ، وزراعتها أو البناء فيها وإمداد الخدمات والمرافق لها أو بأي وسيلة تجعلها صالحة للمعيشة والاستثمار (١٥) ومن إحياء الموات أيضاً : إنشاء القرى ، فمن وجد صحراء ، فإنها فيها قرية عامرة ، فإنه يعد قد أحياها ، ولذلك قالوا إذا أراد أن تكون الأرض الميتة قرية ، فإحياءها يكون بتسوية أرضها ، وبناء جدار حولها ، وتقسيمها بيوتاً ودوراً وحواشٍ ونحو ذلك ، وبذلك تعمر الصحراء ويتحول بقعها إلى عمران (١٦) وعلى الحكومة الإسلامية تقديم الوسائل الازمة لإتمام عملية الإحياء للمستصلحين فقد خصص عمر بن عبد العزيز عشرات الآلاف من الدنانير تقدم للفلاحين ليستعينوا بها على إصلاح أراضيهم .

ومن وضع يده على أرض موات ولم يقم بإعمارها حلال ثلاث سنوات ، فإن قام غيره بإعمارها فهو أحق بها ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام (ليس لحجر حق بعد ثلاث سنين) والمحتر هو "من وضع علامات على أرض موات ليوحى أنه ألت إليه" ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من عطل أرضاً ثلاثة سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهي له (١٧) وقد أجمع الفقهاء على أن الأرض الميتة لا تملك بمجرد تحجيرها ، بل لا بد من إحيائها

استثمارها واستغلالها ، ولو أخذ به كما نجد تلك المساحات الشاسعة التي أشرنا إليها ينأى الإنسان بجهده عنها ، بينما المدن تكتظ بالسكان ، وبينما الأرضي المزروعة تعجز عن سد حاجاته الغذائية ، ويجول بين الدول متسللاً لإشباع جوعه ، وتتميز الدول الإسلامية بتنوع وتعدد أجوائها المناخية وبيئتها الطبيعية ، مما يتبع لها فرصة زراعة العديد من المحاصيل النباتية ، كما يمكن إنتاج ما يكفي حاجاته منها ، فالإمكان زيادة إنتاج المواد الغذائية في العالم أجمع خمس مرات على الأقل مما هو الآن من خلال توسيع مساحة الأرضي المزروعة ومن ثم القضاء على ظاهرة الجوع المهددة لشعوب العالم الثالث بالفناء (٢٤) .

ولكن هل المياه تثل عائقاً أمام استصلاح الأرضي ؟ ، التوقعات العامة تدل على أنه توجد ثروة عربية مائية غير مستغلة ، يمكن أن تشكل محور التنمية الاقتصادية في المستقبل ، حيث إن المستغل حالياً من الموارد المائية يتجاوز بقليل ٥٥٪ من إجمالي صافي الموارد المتوفرة في العالم العربي أي نحو ١٧٥ مليار متر مكعب من ٣٤٩ مليار متر مكعب ، ولكن هناك عقبات أمام استخدام كل قطرة ماء : أنها سواء الاستخدام ، والإسلام يحثنا على الاستخدام الأمثل للمورد الإنتاجي ، فمهما كان هذا المورد ضئيلاً ، فيما يعود من ورائه من منفعة ، أو وفيراً لا ينضب ، فلا ينبغي إلا استخدامه فيما ينفع ويفيد ، وبالأسلوب الذي يحقق أعلى إنتاجية ، ترشيداً لوسائل الإنتاج ، واتقاناً للعمل ، قال عليه الصلاة والسلام (من قتل عصفوراً عثاً عج إلى الله يوم القيمة يقول يا رب إن فلاناً قتلي عثاً ولم يقتلني منفعة) هذا في عصفور بسيط صغير فما بالك بمورد كالمياه مصدر الحياة على سطح الكره الأرضية أي (٩٠,٤٪) من مساحته الإجمالية ، بينما الرقعة المستغلة في الزراعة (٥٣) مليون هكتار أي (٣٨٪) فقط من مساحته الإجمالية (٤٠,٢٪) من الرقعة الصالحة للزراعة على أقل تقدير (٢٢) وفي إحصاء آخر لمساحة الأرضي القابلة للزراعة ، سواء المستغلة أو غير المستغلة وجد أنها (٩٧) مليون هكتار (٢٣) وتشير الأرقام وهي أصدق لغة إلى أن هناك (٦٠٪) من الأرضي الصالحة للزراعة ، بالإضافة إلى مئات الملايين من المكتارات أراضي صحراوية لم يلتجأ إليها زارعاً أو مستصلحاً أو عامراً ، مما يدل دلالة قاطعة على أن هناك وفرة في عنصر الأرض وهو أهم إحدى عناصر العملية الإنتاجية ، ولكن تقاعس المسلمين وعدم اهتدائهم بشرع الله في إحياء الموات ، تحول دون

وكذلك الوضع نفسه بالنسبة لمياه شط العرب "تلaci نهر دجلة والفرات" تضيع هدرأً في البحر ، كما يفقد حوال ٤٤,٨% من المياه السطحية العربية بعملية التبخير دون فائدة (٢٧) ومن العقبات أيضاً أمام استخدام كل قطرة ماء ، غياب الخلافة الإسلامية ، فتركيا والتي كانت يوماً ما مركز الخلافة الإسلامية باتت اليوم بعد أن تحولت للعلمانية تهدى كل من العراق وسوريا مائياً ، فقد قامت الحكومة التركية بتحويل نهر الفرات لمدة شهر كامل في يناير عام ١٩٩٠ من أجل تخزين المياه خلف سد أتابورك الذي أنشئ حديثاً وهو ما تسبب في انقطاع المياه عن كل من سوريا والعراق طيلة تلك المدة ، ولا شك أن ذلك يشكل سابقة خطيرة وأولى في نوعها قد تلحا إليها العديد من الدول الأخرى ، خاصة دول النيل التي تبدأ روافد الأنهر من أراضيها ، كما أن أثيوبيا هي الأخرى ، والتي كانت يوماً ما المركز الثاني الذي انطلق منه الإسلام بعد مكة حيث هاجر الصحابة الأولون إليها وذلك في شهر رجب من العام الثامن قبل الهجرة ، وكانت هذه الهجرةبعثة الإسلامية الأولى وقد أحسن التجاishi استقبالهم وأسلم سرا ، أثيوبيا والتي ثلثا سكانها من المسلمين ، لقد باتت هي الأخرى وبداعي من إسرائيل تهدى من مصر والسودان المائي ، حيث إن ٨٥% من المياه المستخدمة في مصر تأتي عن طريق أثيوبيا عن طريق النهر الأزرق و ١٥% فقط تأتي من دول النيل الأبيض في كينيا وأوغندا وتزانيا ورواندا وبورندي وزائير ، كما أن السودان الإسلامية أصبحت هي الأخرى سبباً في ضياع فرصة توفير مياه للزراعة في مصر ، فمشروع قناة جونجلي في السودان تلك القناة التي من المقرر لها أن تكون بطول ٢٥٠ كيلو متر وقد تم بالفعل تنفيذ ثلثي المشروع إلا أن أعمال الحفر قد توقفت منذ سنوات بسبب الحرب الأهلية في جنوب السودان ، كان يمكن مشروع قناة جونجلي في حالة اكتماله أن يوفر لمصر بليونين متر مكعب من المياه كل عام ، وهو ما يعادل (٥) ملايين متر مكعب من المياه كل يوم ، وهي الكمية التيتمكن من زراعة حوالي ألف من الأفدنة وهذا يعني أن مصر فقدت إمكانية زراعة ٣٦٠ ألف من الأفدنة ، كل عام وأها في السنوات الثلاث الماضية فقدت مصر إمكانية زراعة مليون فدان ، كما لا يفوتنا أن نذكر أن ترك المسلمين فريضة الجihad وخاصة جهاد اليهود فوت عليهم فرصة

استغلال مياه أنهار تروي أراضي فلسطين والأردن ولبنان يستهلكها العدو الإسرائيلي ونشكو نحن الجفاف ، حيث إن إسرائيل تحكم حالياً في (٢٣) مليار متر مكعب من الموارد المائية للوطن العربي (٢٨) فغياب الخلافة الإسلامية شلت من تجمع الدول الإسلامية تحت راية واحدة وحكم واحد وخليفة واحد بل وزع شتاهم تحت رايات وعصبيات وقوميات متعددة ومتفارقة لا تمت للإسلام بصلة من قريب أو بعيد فتفرقوا بعد وحدة وتعادوا بعد ألفة وتحاصموا بعد مودة ، وأفرز كل هذا الواقع الأليم الذي نعيشه .

والإسلام يمنع من احتكار فرد كان أو دولة للماء ومنعها عن جيراها والمنتفعين بها ، عن رجل من الصحابة قال : غزوت مع النبي ﷺ ، فسمعته يقول (الناس شركاء في ثلاثة الكلأ والماء والنار) رواه أحمد وأبو داؤد ورجاه ثقات ، وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة مرفوعاً ، ثلاث لا يعنون : الكلأ والماء والنار وإنساده صحيح ، والحديث دليل على عدم اختصاص أحد من الناس بأحد من الثلاثة ، الذي يهمنا في المقام هو الماء ، فإنه يحرم من المياه المجتمعية من الأمطار في أرض مباحة ، وأنه ليس أحد أحق بها من أحد ، إلا لقرب أرضه منها ، ولو كان في أرض مملوكة ، إلا أن صاحب الأرض المملوكة أحق بها ، يسقيها ويستقي ماشيته ، ويجب بذلك لما فضل من ذلك ، فلو كان في أرضه أو داره عين نابعة أو بئر احترفها فإنه لا يملك الماء ، بل حقه فيه ، تقدمه في الانتفاع به على غيره ، وللغير دخول أرضه ، فإن قيل يجوز بيع العين والبئر نفسها؟ ، قيل يجوز بيع العين والبئر لأن النهي وارد عن بيع فضل الماء لا البئر ، والعيون في قرارهما فلا نهي عن بيعهما ، والمشترى لهما أحق بماهما بقدر كفايته ، وقد ثبت شراء عثمان بن عفان ، لبئر رومة من اليهودي ، بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسبلها للمسلمين (٢٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لا تمنعوا فضل الماء لتمتعوا به فضل الكلأ) وعن أبي هريرة رضي الله قال رسول الله ﷺ (ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيمة ولا يزكيهم وهم عذاب أليم .. منهم رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل) وفي فضل ساقى الماء ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (بينما رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بشرأ فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملا

البحث الإسلامي

الزراعة وإحياء الموات

- الررائعه وإحياء الموات

٨ - فقه السنة السيد سايد سابق ج/٣ ص/٣٤٣ - ٣٥٠ .

٩ - فقه السنة السيد سايد سابق ج/٣ ص/١٧٧ - ٢٠١ .

١٠ - التكافل الاجتماعي في الإسلام محمد أبو زهرة ص/٤١ - ٤٢ .

١١ - الشريعة الإسلامية بدران أبو العينين بدران ص/٣٢٢ - ٣٢٣ .

١٢ - الإطار الأخلاقي لمالية المسلم قطب إبراهيم محمد ص/٩٨ .

١٣ - اشتراكية الإسلام د. مصطفى السباعي ص/١٤١ .

١٤ - سبل السلام محمد بن إسماعيل الكحلاوي ثم الصنعاي ج/٣ ص/٨٢ .

١٥ - الشريعة الإسلامية بدران أبو العينين بدران ص/٣٢٢ - ٣٢٣ .

١٦ - التكافل الاجتماعي في الإسلام محمد أبو زهرة ص/٤٥ .

١٧ - لا للفقر في ظل الإسلام ، أحمد سعيد ص/٩١ - ٩٢ .

١٨ - اشتراكية الإسلام د. مصطفى السباعي ص: ١٤٣ .

١٩ - التكافل الاجتماعي في الإسلام محمد أبو زهرة ص/٤٤ .

٢٠ - سبل السلام محمد بن إسماعيل الكحلاوي ثم الصنعاي ج/٣ ص/٨٢ .

٢١ - فقه السنة السيد سايد سابق ج/٣ ص/١٧٢ .

٢٢ - مجلة الوحدة العدد ٧٦ السنة ٧ يناير عام ١٩٩١م ومجلة الأهرام الاقتصادي العدد ١١٢٦ بتاريخ ١٢/٨/أغسطس عام ١٩٩٠م .

٢٣ - مجلة شئون عربية العدد ٦٢ يونيو ١٩٩٠م ذو القعدة ١٤١١هـ مجلـة الأهرام الاقتصادي العدد ١١١٤ الاثنين ٢٠/٥/مايو ١٩٩٠م .

٢٤ - مجلة دنيـا العرب العدد ٦٢ يونيو ١٩٩٠م ذو القعدة ١٤١٠هـ .

٢٥ - مجلة شئون عربية العدد ٦٢ يونيو ١٩٩٠م ذو القعدة ١٤١٠هـ ص/٦١ ، ص/١٣١ - ١٣٥ .

٢٦ - جريدة الشرق الأوسط العدد ٤٢٢٧ الاثنين ٤/٦/١٩٩٠م .

٢٧ - مجلة الوحدة العدد ٧٦ السنة ٧ يناير ١٩٩١م ص/٢٩ .

٢٨ - مجلة السياسة الدولية العدد ١٠٤ أبريل ١٩٩١م .

٢٩ - سبل السلام محمد بن إسماعيل الكحلاوي ثم الصنعاي ج/٣ ص/٨٦ - ٨٧ .

٣٠ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ج/٥ ص/٣٩ - ٥٠ .

٣١ - جريدة الحقيقة السبت ١٥/٦/١٩٩١م .



ع :
لار باستخدام الك
نية استخدام ميا
ارجة والداخلة
بالصحراء الشر
مال وجود جزء
يولوجية بالمنطقة
رقة العوينات با
وجود مياه جوفية
د وأشار مركز ا
ناك مياهاً جوفية
له وسنة رسوله .
هما عند غيره في
جل المياه أو الطع
هو وزرعه وحيو
هذه هي
الله وإن لنا في الب

مراجع:

- البحث الإسلامي
- حفله ثم أمسكه بيده ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله فغفر له ، قالوا : يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ ، قال : في كل كبد رطبة أجر) (٣٠) . هذه هي مبادئ الإسلام ، تمنع من احتكار فرد للماء ، وأخوه يموت هو وزرعه وحيواناته عطشا ، بل تصل إلى درجة التحرير وشن القتال ، مر أجل المياه أو الطعام ، إذا منعوا عن فرد أو شرك على الموت بسبب فقره إليهما وهذا عند غيره فيهما فضل "أي زيادة" ، إذن فالمشكلة هي عدم تطبيقنا لشرع الله وسنة رسوله ، وليس في نقص أرض أو قلة ماء ، كما يجب الإشارة إلى أن هناك مياه جوفية لم تستخدم بعد ، وأشارت إليها الدراسات والأبحاث العلمية فقد أشار مركز الاستشعار عن بعد في جامعة بوسطن بالولايات المتحدة عن وجود مياه جوفية تكفي لزراعة ٢٠٠ ألف فدان لمدة ٢٠٠ سنة في منطقة شرق العوينات بالصحراء الغربية ، وذلك وفقاً لما أكدته أحدث البحوث الجيولوجية بالمنطقة ، كما توجد مياه جوفية أيضاً في وسط وجنوب سيناء وكشفت دراسة أخرى عن وجود نهر قديم في الواحات البحرية كان يجري من الجنوب إلى الشرق ثم إلى الشمال ليصب في منخفض القطارة ، وهو ما يعي احتمال وجود جزء من مياهه على شكل مياه جوفية ، وكذلك احتمال وجود الماء بالصحراء الشرقية ، وهناك كميات ضخمة من المخزون في الوادي الجدي والخارجة والداخلة والفرافرة وهذه المياه غير مستخدمة (٣١) هذا فضلاً عن إمكانية استخدام مياه الصرف ومياه البحر بعد تحليتها ومياه الآبار وتحميم مياه الأمطار باستخدام التكنولوجيا الحديثة .
- ### المراجع :
- ١ - لقاء مع الرسول خالد محمد خالد ص / ١٩٧ - ٢٠٣ .
 - ٢ - عوامل الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي حمزه الجميسي الدموهي ص / ٦٢ .
 - ٣ - العمل في الإسلام د. عيسى عبده - أحمد إسماعيل يحيى ص / ٩٣ .
 - ٤ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ج / ٥ ص / ٢٤ .

مع الداعية الشيخ نعمة الله

من هو الشيخ نعمة الله؟

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الدكتور صالح مهدي السامرائي
رئيس المركز الإسلامي في اليابان
salihsamarrai@yahoo.com

الداعية مطلوب علي ، على خطى الشيخ نعمة الله :

سيد مطلوب علي مهندس باكستاني حائز على أعلى الدرجات أثناء دراسته في اليابان أوائل السبعينيات، خدم الداعية الباكستاني سيد جميل . واستقر في اليابان عاماً كادحاً في حقل الترجمة وساهم في تأسيس المركز الإسلامي في اليابان عام ١٩٧٤م ويعمل لمدة طويلة مديرًا لشؤون التعليم في المركز .

يجيد اليابانية ، ومتحدث لبق عن الإسلام في كل المناسبات ، وتدعوه أستاذة اللغات في جامعة قندة KANDA بطوكيو لحضور حفلات تخرج دفعات من طلابها وطالباتها ليلقى عليهم محاضرة عن الإسلام .

تعلم من الشيخ نعمة الله المبادرة في دعوة الناس إلى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، فالعادة في كل مراكز الدنيا أن تلقى المحاضرات ويجاب عن الأسئلة وتوزع النشرات ، إلى هنا فقط ، يترك الناس لشأنهم ، منهم من يسلم في الحال أو بعد حين ومنهم من لا يسلم حتى وفاته ، ما تعلمه مطلوب علي من نعمة الله وما تعلمناه نحن وما نحرص أن تعلمه الأمة هو المبادرة في الحال وبعد المحاضرة وبعد الإجابة على الأسئلة ، أن نقول للحضور وبلغتهم (من يؤمن بوحданة الله ونبوة محمد بقلبه وينطقها بلسانه فهو مسلم) إن التقرير المرفق يوضح مثلاً لذلك .

من السيد مطلوب علي ، مدير الشؤون التعليمية في المركز الإسلامي إلى الدكتور صالح السامرائي رئيس المركز الإسلامي في اليابان .
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

في ٨ ديسمبر كانون الأول من عام ١٩٩٩م ذهبت لألقى محاضرة باللغة اليابانية في جامعة (قندة) Kanda للغات الأجنبية في طوكيو بترتيب من المركز الإسلامي .

وحضر حوالي ثلاثين طالباً وطالبة ، ولقد شرحت لهم الإسلام بأسلوب منطقي ، تماماً كما فعلت بزياري السابقة لمدينة طوكوشيمما مع الأخ كيما (وهي تبعد ٨٠٠ كم عن طوكيو وفي جزيرة شوكوكو وكانت ولا تزال معقلاً إسلامياً وهي مدينة خالد كيما - السامرائي) ، ولقد أبدى الجميع اهتماماً كبيراً بالمحاضرة ووجهوا العديد من الأسئلة وخصوصاً عن مكانة المرأة في الإسلام ، وأوضحت لهم ما فيه الكفاية ، ولقد لاحظت الدموع تهمر من عيون بعضهم ، كما أوضحت معنى كلمة التوحيد (وحданة الله ونبوة الرسول) وغير ذلك ، وبعدها أخبرتهم أن كل من ينطق كلمة الشهادة بلسانه عارفاً معناها ومصدقاً بها يصبح مسلماً .

فما كان منهم إلا أن أعلنوا عن موافقتهم في أن يرددوها معه ، والحمد لله رد الجميع ورأيي كلمة الشهادة ثلاث مرات ، وعدت بعدها وأنا في غاية السرور .

وبعد مضي عشرة أيام استلمت مظروفاً من الأستاذة ، تحتوي على رسائل (بعضها باليابانية والأخرى بالإنجليزية) مكتوبة من القلب من قبل جميع الطلبة تقريباً ، وذكر الجميع في هذه الرسائل أنهم رغم رغبتهم الجاححة في التعرف على الإسلام إلا أنهم لم يسمعوا من قبل شرحاً عنه مثل هذه المرة ، وأنهم الآن في قناعة تامة بهذا الدين ، وذكر بعضهم أنهم يريدون الاجتماع في مرأة أخرى وبعضهم ذكر أنه يريد زيارة المركز للحصول على كتب إسلامية باللغة اليابانية إلخ ، وذكر بعضهم أنه من الآن فصاعداً سيحملون حباً واحتراماً أكثر للوالدين وخصوصاً الأم ، ولقد انتابني شعور عميق من السرور أن أرى مثل ردود الفعل هذه من هؤلاء الشباب اليابانيين والتي عبروا عنها في رسائلهم ، وسائلت دموع الفرح من عيني. أسأل الله العلي القدير الهدى والبركة لنا جميعاً .

أيسر وأسرع طريقة في الدعوة إلى الإسلام :

يدعو الشيخ نعمة الله الآخرين إلى الإسلام كما ذكرنا سابقاً بعبارة

مع الداعية الشيخ نعمة الله من هو الشيخ نعمة الله؟

وأجاب على كافة الأسئلة لمدة ساعتين.

مركتنا ومراكز الدنيا ودعائهما يتوقفون إلى هنا وربما وعلى أكثر تقدير يوزعون نشرات وكتيبات عن الإسلام ، قد يسلم واحد أو اثنان ، قد يلحق بهم واحد أو اثنان ويستزيد منهم على معلومات وربما يسلمون في الحال أو فيما بعد ، أو كما يعمل الداعية الهندي ذاكر حسين حينما يتكلم أمام عشرات الآلوف بل مئات الآلوف وفي النهاية واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة إلى ثمانية يسلمون ، أما في طريقتنا عند تطوير دعوة الشيخ نعمة الله فنقوم بما يلي :

في هذه الحالة التي ذكرناها أعلاه وبعد أن أنهى الأستاذ علي الزعبي حديثه وتوضيحه وإجاباته عن الإسلام ، وجه الحديث إلى المستمعين قائلاً : أي إنسان منكم يؤمن بقلبه بوحدانية الله وبنبوة محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، ويقولها بلسانه فهو مسلم .

هنا أعلن الجميع أننا مستعدون للنطق بالشهادتين ، وفي الحال توجه الشيخ نعمة الله إلى الحضور داعياً إياهم أن يرددوا معه باللغى : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، كذا مرة .

تساءل نعمة الله مع نفسه عن كيفية إعطائهم أسماء إسلامية؟ لو كان واحد ، اثنان ، ثلاثة لأعطيت كل واحد اسمًا منفصلاً ، أحمد ، محمد ، فاطمة ، عائشة ... إلخ ، أما هؤلاء فأكثر من مائة. فقلت لنفسي شغل مخك يا نعمة الله ، وهنا قال للجميع : Fatima All women ، All men Mohammed ، (كل الرجال أسماؤهم محمد ، كل النساء أسماؤهن فاطمة) .

الجميع فهم الإسلام ، والجميع نطق بالشهادتين ، ألم يصبحوا مسلمين؟ يأتي الكثير فيقولون : كيف تعلمون هؤلاء ، كيف توجهونهم ، كيف تلقنونهم العقيدة الصحيحة؟

الأجوبة على هذه التساؤلات كثيرة ، ولها مكان آخر .

[بعد محاضرة في ضواحي طوكيو لمدة ساعتين يعلن أكثر من مائة أستاذ وأستاذة يابانيين إسلامهم أمام الأستاذ علي الزعبي والشيخ نعمة الله ، وذلك في فبراير ٢٠٠٣م] .

(قولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله) تذهب عنكم جميع مشاكلكم ، على طريقة الرسول ﷺ حينما كان يدعو قومه (قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا) . العرب كانوا يفهمونها بدون شك ، غير أن الشيخ نعمة الله يقول : حتى لو لم يفهمها الإنسان المدعو ، فإن هذه الكلمة نور يسمعها فتنور أذنه وتنزل إلى قلبه فتحل السكينة والاطمئنان وتنزل الرحمة فيشرح الله صدر الرجل أو المرأة للإسلام .

وتوجد أمثلة على ذلك كثيرة ، ذكرنا بعضها في قصة الداعية البريطانية "روضة" والشباب الكوريين الأربعه وغيرها ، ونجمل القارئ الكريم إلى قناة الجزيرة في اليوتيوب (you Tube) قصة "عبد الله الفرنسي" ، سائح فرنسي ركب من جبل طارق إلى المغرب وجاء إلى موظف الجمارك المغربي الذي قال له : قل "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، هنا هذا الفرنسي حدث نفسه قائلاً : إذا لم أقل لها ربما يؤخرني ساعتين ، فلأقلها بمحاملة ، فلما قلت لها نور قلني وأسلمت في المغرب وذهبت إلى سوريا لثلاث سنوات للتعلم والآن أنا في قرية في موريتانيا درست علوم الأولين والآخرين ، وسأعود إلى فرنسا داعية إلى الله .

وابي الفقير إلى الله صالح السامرائي ذهبت قبل ثلاث سنوات إلى باريس وسألت عن عبد الله الفرنسي ، فقالوا عبد الله الفرنسي كثير ، قلت كذا وكذا ، فوجده وتحدثت إليه وتناقشت في أمور كثيرة ، ومن مشاهدي له في قناة الجزيرة ومن لقائي معه في باريس بلباسه المغربي توسمت في شخصه سمات الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

بعدها بدأ نعمة الله يكتب كلمة التوحيد بتسع لغات على كرت card ويوزعه على من يلقاهم مما يساعد المدعين على فهم كلمة التوحيد .

أما نحن في المركز الإسلامي فقد طورنا طريقة الشيخ نعمة الله ، كيف؟ في اجتماع لأكثر من مائة أستاذ وأستاذة في طوكيو ، تصدر أخواننا العزيز "علي الزعبي" السوري الذي يجيد اللغة اليابانية وبجانبه الشيخ "نعمه الله" تصدراً للحديث عن الإسلام ، شرح على الزعبي الإسلام باللغة اليابانية

على حرب هذه الدولة وتحطيم قواعدها ، وكانت الدولة العثمانية تقوم بتعيين شريف من أشراف مكة إلى جانب والي عثماني فيها ، ويقوم هذا الشريف بإمامية الحجيج في مواسم الحج والعمر على تأمين سلامتهم وسلامة الأماكن المقدسة وتأمين الطرق المؤدية إليها ، وأما الوالي العثماني فإنه يدير الشؤون العسكرية للمحافظة على حدود الولاية من الاعتداء الخارجي ، وكان هذا الوالي يشارك في اختيار وترشيح الشريف ، وفي تلك الفترة التي تتحدث عنها كان شريف مكة هو الشريف عون الرفيق باشا ، الذي تولى الإمارة عام ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م^(١) ، وتمت في عهده إصلاحات كثيرة في مكة ، وكان الشريف حسين بن علي آخر شريف لهذه السلسلة ، وهو الذي قاد - بالتعاون مع بريطانيا - ما عُرف في تاريخ العرب الحديث بالثورة العربية ضد العثمانيين ، وأدى خلافه مع الملك عبد العزيز آل سعود إلى نهاية حكم الأشراف في الحجاز ، وأما منطقة عسير فإنها كانت تخضع تارة للحكام العثمانيين ويحكم فيها تارة أخرى الأمراء العسيريون المحليون ، وظلت كذلك حتى دخلت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تحت الحكم السعودي ، وأما إقليم الأحساء والقطيف فإنها كانت تحت سيطرة السلطات العثمانية في العراق منذ أن استولت عليها بعد استنجاد الإمام عبد الله بن فيصل بها ضد أخيه سعود عام ١٢٨٨ هـ ، وظلت على حالها حتى انتزعها الملك عبد العزيز منها عام ١٣٣١ هـ ، وأما بلاد نجد فإنها كانت معقل الأسرة السعودية ومركز الدعوة الإصلاحية التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وازدهرت هذه المنطقة ازدهاراً واسعاً من جميع نواحيه في عهدي الإمامين تركي بن عبد الله وفيصل بن تركي ، ولكن وفاة الإمام فيصل بن تركي سنة ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٣ م ثبت ضربة حاسمة وقادمة على بناء هذه الدولة وكيانها ، إذ بدأ النزاع ودب الشقاق بين ابنيه عبد الله وسعود اللذين تنافسا على القيادة والزعامة وتسبب ذلك في سلسلة من الحروب الطاحنة التي أضعفت الدولة السعودية وزعزعت قواعدها. وهكذا سُنحت الفرصة للأعداء المترقبين بهذه الدولة ، وكان أكبر المستفيدان منها محمد بن رشيد ، حاكم إمارة جبل شمر ، الذي استأثر بحكم

(١) فجر الرياض ، للأستاذ عبد الواحد محمد راغب ، ص ٢٣.

الملك عبد العزيز آل سعود حياته وميزاته

ودوره الريادي في تأسيس المملكة العربية السعودية

بقلم : الدكتور عرفات ظفر

أستاذ مساعد قسم اللغة العربية وأدابها جامعة لكانو - الهند

الخلفية التاريخية :

من المستحسن أن تعرف بمحاريات الأوضاع السياسية على الصعيدين الدولي والمحلي بالإيجاز خلال فترة ولادة الملك عبد العزيز ونشأته ، كي نلم بالحالة التي كانت عليها شبه الجزيرة العربية لنلمس بعض العوامل التي أثرت في تكوين شخصية الملك وتصقل موهابه وتنمية قدراته بالإضافة إلى عوامل أخرى ساعدت على تحقيق طموحاته الضخمة العالية إلى الدرجة التي قصرت عنها همة غيره من معاصريه .

فتح الملك عبد العزيز عينيه في عصر كان يزخر بالأحداث والتقلبات ، فكانت الجزيرة العربية وشوائطها مركز نشاط لبعض الدول الأوروبية ومصرع أطماعها التي قد التفت حولها منذ زمن بعيد لاستغلال مواردها والسيطرة على بحاراتها والحفاظ على قوافلها التجارية المارة بطريق الخليج العربي والبحر الأحمر ، وكانت هذه الدول ، ومن أهمها بريطانيا ، لها دور كبير في تصارع الأمراء والقادة العرب في داخل الجزيرة وفي عدم الهدوء والأمن والاستقرار فيها ، وطبقاً لسياساتها المعروفة "فرق تسد" كانت تحرض دائماً بعض هؤلاء الأمراء على هجوم البعض الآخر وأرادت بذلك إزاج الدولة العثمانية وترسيخ هيمنتها في شؤون الجزيرة ، وفي الأخير تنافست هذه الدول فيما بينها للاستحواذ على أكبر قدر من تركيبة "الرجل المريض" (sick Man) المتمثل في الدولة العثمانية .

وأما الجزيرة العربية فإنها كانت منقسمة ومتوزعة بين إمارات ودوليات متفرقة ، خاضعة لسلطات وحكومات مختلفة ، ومن أهمها ولاية الحجاز ، فكانت الحجاز دائماً مركز اهتمام الحكام العثمانيين في جزيرة العرب ، ولذلك لما دخلت الحجاز تحت الحكومة السعودية الأولى صمم هؤلاء الحكام

بحذ وانتزعه من آل سعود سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م ، ففي هذه الأيام - أيام نكبة انقسام الدولة السعودية الثانية والصراع على الحكم بين افراد الأسرة الحاكمة - نشأ وشب الملك عبد العزيز .

مولده ونشأته :

الملك عبد العزيز هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن مانع من قبيلة عزرة المشهورة في بلاد العرب ، إنه ولد في قصر الإمارة بالرياض سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م ، وشمس أصيل الدولة السعودية الثانية كانت تدنو شيئاً إلى الغروب ، وتحتفل الروايات في تحديد السنة التي ولد فيها الملك ، فالآقوال كثيرة ولكن أشهرها قولان : الأول - أنه ولد في ذي الحجة عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م ، والثاني - أنه ولد في ذي الحجة عام ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م ، ولكن الأستاذ خير الدين الزركلي رجح أنه ولد عام ١٢٩٣هـ / ١٨٨٦م (٢) ، استناداً على ما ذكره له الأمير عبد الله بن عبد الرحمن ، أخو الملك عبد العزيز ، الذي كان ملماً بتاريخ أسرته ، والأمير طلال بن عبد العزيز أيضاً يقول في هذا الخصوص :

"والحقيقة التي أعرفها عن والدي شخصياً هي أنه ولد سنة ١٢٩٣هـ ، وقد سمعته أكثر من مرة يقول : نحن أهل بحد نُدمَدَم (نخفي) اعمارنا ، لقد دمِدَتْ ثلاث أو أربع سنوات من عمري ، وكانت منذ صغرِي أحسب عمره معه" (٣) .

أنه ولد في بيت أبيين كريمين اتصفوا بالورع والتقوى ، فأحاطاه بكل طهر ونقاء من آقوال وأفعال ورباهم على الأخلاقيات والصفات الحميدة ، واسم أمه سارة بنت أحمد السديري وهي ذات النسب الرفيع ، وكانت من أكمل النساء عقلاً ودينًا ، وحكمة وتدبِّراً ، وحين تفتحت مداركه كانت البلاد تشن تحت آثار الصراع والشقاق بين الإخوة المتناحرین على السلطة ،

(٢) شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز - للأستاذ خير الدين الزركلي ، ج / ٥٨ .

(٣) صور من حياة عبد العزيز - للأمير طلال بن عبد العزيز ، ص / ٢٦ ، نقلًـ عن الملك عبد العزيز : الشخصية والقيادة - للأستاذ إبراهيم بن عبد الله السماري ، ص / ٢٣ .

الدينية والنصائح والإرشادات ، فانغرست في نفسه مبادئ التقوى واحتل الإيمان بالله أعمق القلب منه .

تدريبه العسكري :

وقد تعلم عبد العزيز من والد الإمام عبد الرحمن إيمانه المطلق بالله ولاءه لدينه ووطنه وأمته والتزامه بال تعاليم الخلقيّة المستقيمة وضرورة القيام بكامل مسؤولياته الشعبيّة والثبات في الرأي والصدق في القول والوفاء بالأمانة الشعبيّة واحترام الوعود المقطوعة وأساليب القيادة الحكيمّة ، ولا شك في أن هذه كلها تعاليم خاصة ب التربية قائد ، وبالإضافة إلى ذلك أنه تعلم من والده حمل السيف واستخدام البندقية واعتلاء صهوة الجياد بوابة واحدة وركوها من غير سرج أو جام ، وذكر الدكتور عبد الله الصالح العثيمين تعليم الملك عبد العزيز وتدريبه العسكريّة قائلاً :

"قد نشأ الملك عبد العزيز نشأة كثيرة من أفراد الأسرة السعودية الذين عاصروه ، أو سبقوه ، وتأدب بالأداب المتوارثة لديها ، وكانت هذه الأسرة تجمع بين كونها أسرة حكم عربية الأصل والتقاليد ، وكونها أسرة أقامت حكمها على أساس ديني هدفه الواضح مناصرة العقيدة التي نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتطبيق الشريعة الغراء ، ولذلك كان عليه أن يكتسب المهارات التي لا بد أن يتلقنها ناشئة الأسر العريبة الحاكمة حينذاك ، مثل الرماية وركوب الخيل وأساليب الكر والفر ، وقد اكتسب من تلك المهارات ما كان جديراً به أن يكتسبه وهو ما زال صغير السن" (٦) .

الملك عبد العزيز بنفسه اعترف في مكان بأنه أحسن استعمال البندقية وركوب الخيل كأحد الفرسان وهو في سن الصبا (٧) .

وهكذا كان الملك عبد العزيز مولعاً بالفروسية وركوب الخيل منذ صباه ، وعرفت عنه حركته الكثيرة وتنقله السريع ، وكان حازماً ذكياً متوفقاً على اترابه شجاعاً جريئاً مقداماً يجمع في طبيعته روح الحرب وروح المسلم يعالج الأمور بحكمة وحنكة ودرأة ويتحلى ببراعة سياسية فائقة ، كما كان

(٦) تاريخ المملكة العربية السعودية - للدكتور عبد الله الصالح العثيمين ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

(٧) فجر الرياض - للأستاذ عبد الواحد محمد راغب ، ص ٣٧ .

يتمنع بخلق قسم وإرادة نافذة وكان بعيد المطامح وطويل الرؤية ، ومنذ صغره جعل أبوه يوفده في أسفار طوال ويكل إليه مهمات شاقة ويعوده على النهوه من فراشه قبل الفجر بساعتين ، حتى في أيام الشتاء حين تصفر الرياح الباردة التي تحب من أعلى الهضاب ، وكان يحثه على السير حافي القدمين في الظهيرة على الصخور الملتهبة والرمال الحرقـة تحت شمس الصيف اللاـفـح ويشجعه على تجربة قوته في مصارعة أقرانه واعتـيـاد القـليلـ من الطعام والشراب والنوم ، فـما لـبـثـ عبدـ العـزـيزـ أنـ نـماـ جـسـمـهـ عـلـىـ خـفـ وأـصـبـحـ فـارـعـ الـقـدـ صـلـبـ العـوـدـ وجـمـ النـشـاطـ .

وبعد ذلك بدأ عبد العزيز يرافق والده في غزواته ويحضر في مجالسه العامة ، كما اصطحبه أبوه إلى الحرب ، وهو في سن العاشرة ، ليُعده للكفاح والنضال ويدربه على الوعي ، كما كان لإقامته في بني مرة وتنقله في الـبـادـيـةـ ، بعد الهجرة من الرياض ، أثر كبير في بناء شخصيته وفي بره الدائم بأهل الـبـادـيـةـ طيلة حياته ، فقد أصبح فيهم بدوياً يعيش عيـشـهـ وـيـتـقـلـبـ فيـ الصـحـراءـ تـقـلـبـهـ ، ويقيم أحياناً في العراء لا تحويه خيمة ولا يحجب السماء والـكـواـكـبـ دونـهـ حاجـبـ ، وكان يخرج معهم مغـيرـينـ أوـ قـانـصـينـ ، وجعلـواـ يـعـلـمـونـهـ أـفـانـينـ الصـحـراءـ كـاقـفـاءـ الـأـثـرـ وـمـتـابـعـةـ الـخـطـوـ علىـ الرـمـالـ وـمـوـاـقـعـ النـجـومـ ، وـيـدـرـبـوـنـهـ علىـ سـيـاسـةـ الـإـبـلـ فيـ الـأـسـفـارـ الطـوـالـ وـيـلـقـنـوـهـ كـيـفـ يـصـبـرـ عـلـىـ حـقـنـةـ مـنـ التـمـ وـسـعـنـ مـنـ الـلـبـنـ فيـ سـفـرـ بـعـيدـ ، وـأـصـبـحـ عـلـىـ مـرـ الأـيـامـ مـقـاتـلـاـ أـشـوشـ يـعـيـشـ عـلـىـ الـإـحـسـاسـ بـالـخـطـرـ الدـائـمـ وـالـمـشـقـاتـ الـمـسـتـمـرـةـ ، وـمـاـ لـبـثـ الـأـهـوـالـ الـمـتـوـالـيـةـ وـالـمـتـاعـبـ الـمـخـلـفـةـ أـنـ أحـالـتـهـ صـلـبـ العـوـدـ شـدـيدـ الـبـأـسـ ، وـعـلـمـتـهـ الثـقـةـ بـالـذـاتـ وـالـإـعـتمـادـ عـلـىـ النـفـسـ وـالـأـهـبـةـ فيـ كـلـ حـيـنـ لـلـعـمـلـ ، وـحـفـزـتـ فـيـهـ الـهـمـةـ وـالـجـرـاءـةـ وـالـإـقـدـامـ ، وـلـاـ شـكـ فيـ أـنـ حـيـاةـ الصـحـراءـ هـذـهـ أـسـهـمـتـ فيـ بـنـاءـ شـخـصـيـةـ الـمـلـكـ عبدـ العـزـيزـ بـصـورـةـ صـارـمـةـ تـسـمـ بـقـسـوـةـ لـاـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـتـحـمـلـهـ إـلـاـ مـنـ جـرـدـواـ أـنـفـسـهـمـ لـلـمـهـمـاتـ الـكـبـارـ . (٨)

فـهـكـذـاـ تـبـلـوـرـتـ عـنـ الـمـلـكـ عبدـ العـزـيزـ فـيـ شـرـخـ شـبـابـهـ روـحـ الزـعـامـ وـالـقـيـادـةـ الـتـيـ فـطـرـتـ عـلـيـهـ نـفـسـهـ ، فـبـزـ أـقـرـانـهـ وـمـعـاصـرـيـهـ ، وـعـلـتـ هـمـتـهـ ، فـشارـكـ

(٨) عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود والإصلاح الإسلامي المعاصر ، ص ٤٦ - ٤٧ .

أحداده في خضم الأحداث ، وفي هذه الأيام الحرجة شارك عبد العزيز كعضو في وفد والده للتصالح والتفاوض مع وفد ابن رشيد ، وفي ذلك الحين إنه كان ابن أربع عشرة سنة تقريباً ، واعتبر الدكتور عبد الله الصالح العشرين هذه المشاركة أول خطوة له في مجال السياسة والسفارة (١٠) ، ولم يتجاوز عمر عبد العزيز عن خمسة عشر عاماً حتى إنه ذهب - سفيراً لوالده - إلى حاكم البحرين لاستضافة النساء من أسرته اللاحقة كن يتنهن في الصحراء بعد مغادرة الأسرة السعودية الرياض (١١) .

ثم أرسله أبوه إلى المقوف ، قاعدة الأحساء ، التي كانت تابعة حينذاك للدولة العثمانية ، عسى أن يسمحوا له ولرجاله بالإقامة بجوارها ، إلا أن سفارته هذه لم تفلح ، حيث امتنع الترك من إيوائه ، وبعد فشل هذه السفارة ورفض الأمير محمد بن صباح قدوم عبد الرحمن ومن معه للإقامة في الكويت ، لبث الإمام عبد الرحمن وأهله في الصحراء شهرها ، ثم توجهوا إلى قطر ، فاستقر عبد الرحمن وولده عبد العزيز ومن معهما في ضيافة الأمير قاسم بن ثانى ، ولحقت بهم أسرهم التي كانت في البحرين ، وفي عام ١٨٩٢م انتقل عبد العزيز مع والده وأسرته إلى الكويت بعد اتفاق مع الدولة العثمانية ، وبعد الإستقرار هناك بدأ عبد العزيز يحلم العودة إلى الوطن .

ملامحه الجسمية والعقلية :

لا ريب في أن الله عز وجل قد منح الملك عبد العزيز بسطة في الجسم وهي مظاهر الوقار كما منحه الهيئة والجلال فقد ثنا جسمه نموا سريعاً ، وأصبح عبد العزيز طويلاً القامة ، مهاب الطاعة ، قوي الذاكرة ، متقدّم الذهن ، شديد الذكاء ، واسع الحيلة ، حسن التدبير وكثير التجارب ، وإلى هذه الصفات أشار أحد الكتاب الهنود بالكلمات التالية :

"كان عبد العزيز يتميز بتقدّم الذهن وأصالة الفكر وحدة الذاكرة ، ولصفاته هذه وحدة ذهنه كان قادرًا على تقويم أفكار الآخرين وتقدير المواقف المختلفة ، وكان يتوّج هذه الخصال شخصية تميز بالحكمة وسرعة

(١٠) تاريخ المملكة العربية السعودية ، ج ٢١ ، ص ٤٧ .

(١١) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز - للأستاذ خير الدين الزركلي ، ص ١٦١ .

منذ تلك السن المبكرة في الغزوات والمقاضيات وقام بالسفارات ، وألف حشونة الحياة واحتير تقلبات الزمن وطياع الناس ، وما أُن بلغ مبلغ الرجال إلا وهو صحيح العقيدة في الدين ومتين الاتصال بالله ومملوء القلب بالخوف منه ، واشتهر في حياته كقائد عسكري ظافر تقى ورع حمود سخي مهذب لطيف المعشر ورفيق المعاملة في الحالات الاجتماعية .

رحلاته السياسية وسفاراته :

وبالإضافة إلى تعليمه الديني وتدريبه العسكري كان أبوه يوفده في الرحلات والسفارات ، كما أنه أيضاً كان يشارك مع أبيه في الاجتماعات السياسية والاجتماعية وينوب عنه في مفاوضات الصلح والتعاهد ويهمّ كثيراً في الشؤون الحكومية والدبلوماسية ، وفي بعض الأحيان يخاطر هذا الخيال أيضاً ببيانه أن رحلته الأولى عن بحد في رفقة أبيه قد تكون مفروضة من عند الله ، والغرض منه هو إعداد هذا الولد لحمل العبء الكبير الذي ينوه به فكر والده ، فقد سافر الإمام عبد الرحمن ومعه ابنه عبد العزيز إلى بادية الربع الخالي ، وهناك تعلم هذا الغلام اليافع كيفية التعامل والتعايش مع قسوة الصحراء وشظف العيش ، كما ذكرنا آنفاً . ولكن ما نسي أبداً قوته إيمانه بربه أولاً ونقاء نفسه ثانياً ، فمرة دعا الإمام عبد الرحمن في خيمته ابنه والحراس الثلاثة الذين يقروا بصحته ، وقال لهم :

"بات من واجبي أن أحدثكم صريحاً ، فقد شاءت إرادة الله فيما يبدو أن أموت هنا ، ولا مرد ولا اعتراض على مشيئته ، والشكر والحمد له على كل حال لا - قال عبد العزيز - لن نموت هنا ، فسأل أبوه ما الذي جعلك واثقاً من ذلك ؟ قال لأنني سأصبح ملكاً على الجزيرة العربية عند ما أكبر ، دهش عبد الرحمن لعبارة ولده ونظر إليه ملياً ، ففوجئ ببرؤية بريقة عيني الفتى، لم يكن قد شاهده أبداً من قبل" (٩) .

وأما في مجال السفارات والأعمال الدبلوماسية ، فمن المعلوم أن في أواخر أيام إقامة أبيه في الرياض ازدادت النشاطات السياسية والعسكرية والدبلوماسية ، ولما بلغ عبد العزيز مبلغ الشعور والإدراك وجد نفسه وملكه

(٩) الملك عبد العزيز : الشخصية والقيادة - ص ٢٤ .

بعد العشاء - يجلس في مجلس عام حيث يكون من يقرأ نحو ساعة شيئاً من كتب مختلفة في الحديث والتفسير والتاريخ والأدب ، وبعد ذلك ينصرف إلى بيته . فقد ألقى بعض الكتاب والمؤرخين أضواء على صفات الملك عبد العزيز الحسنة وأخلاقه العالية ، فيقول أحدthem عنده :

"كان (الملك عبد العزيز) مشهوراً بالتدبر والورع ونصرة الضعيف ، والأخذ بيده ، ومقداماً مثالاً للجرأة ، ومحارباً من الطراز الأول ، وكان صبره على تحمل الألم لا يجاري ، وإنه كبير القلب ، ندي الكف جسور لا يعرف الصبر عنده حدوداً ، عليماً بنفوس العرب ، حكيمًا في معاملة القبائل ، وقد أوي المزايا والخصال التي يعجب العرب بها" (١٤) .

إضافة إلى ذلك أنه كان متحلياً بالأوصاف الحميدة الأخرى أيضاً ومنها التمسك بالكتاب والسنة ، والصدق والإخلاص والبر بذوي القرى وحسن السلوك مع الناس مهما كان دينهم وجنساتهم ، وشهد على هذه العادات والصفات كل من المسلمين وغير المسلمين من تعامل معه ، فيقول الدكتور فون ويزل في هذا الخصوص شاهداً على صدقه وإخلاصه :

"وفي ابن سعود ميزة أخرى ، وهي أنه كريم صادق ، وقد حدثه مرتين في شؤون مختلفة ، كان بعضها دقيقاً جداً ، فلم يلحظ قط أنه يلبس الباطل ثوب الحق ، نعم كان سياسياً أحياناً في أحبوته ، فلا يقول كل ما يعرفه ولكنه لم يتلفظ بكلمة واحدة غير صادقة" (١٥) .

كما أنه كان يُحمل إحلالاً كبيراً لوالده الإمام عبد الرحمن ، فلم يسمح لنفسه بأن يخطو ويطأ أرض غرفة من غرف القصر ، إذا كان أبوه في الغرفة التي تحتها ، وكان يقول : كيف استطيع أن أسمح لنفسي بأن أمشي فوق رأس أبي ، كما أنه حمل ذات يوم والده على كتفيه وذهب به من باب السلام إلى مصلاته في المسجد الحرام بمكة المكرمة ، بينما بلغت الشیخوخة بالإمام عبد الرحمن إلى العجز عن السير ، ورفض أن يقوم الخدم أو الحرمس بذلك" (١٦) ، فلا شك في أن الملك عبد العزيز بهذا العمل أسوة حسنة للجميع

(١٤) دور المملكة العربية السعودية في تطوير الأدب العربي الحديث ، ص ٣٥ - ٣٤.

(١٥) الملك عبد العزيز : الشخصية والقيادة ، ص ٤٤ - ٤٦ . (١٦) المصدر السابق ، ص ٤٥ - ٤٦ .

الخاطرة ، وقاده شاحنة مدينة زاخرة بالرحلة ترك انطباعاً راسخاً وعميقاً لدى كل من يجالسه ، كانت عظمته وسحره وقوه شخصيته تأسر لمن يلتقيه ، وكانت قوته تصميمه فائقة بحيث تمكّنه من الاستحواذ على عقول الآخرين ، فكم من مرة جاء زعماء القبائل إلى مجلسه بالصلف والعداوة فغمّر قوم شخصيته واستملاهم إلى جانبه بحكمته ورباطة جأشه وقوه إقناعه" (١٢) .

ولكن أدق وصف لصفات الملك عبد العزيز الجسمية هو ما ذكره ضاري بن فهيد الرشيد المتوفى عام ١٣٣١هـ ، فهو يقول عنه : "أما ابن سعود فهو : عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ، وهو رجل شجاع ، صاحب سياسة في قومه ولهم تصرفات في الحرب ، ومكائد أكثرها ينجح ، وهو رجل مديد القامة ، حتى إنه لم يكن في بحد اليوم أطول منه ، وهو مع ذلك مناسب للأعضاء ، حسن الوجه ، أبيض ، وشعره أسود ، خفيف اللحمة والعارضين ، وهو جواد محظوظ ، ذو رأفة في عشيرته وممالكه" (١٣) .

عاداته وصفاته الأخلاقية :

كان الملك عبد العزيز إنساناً صادقاً ورجلًا صالحًا تقىاً منذ أيام طفولته ، فلم يتقاصر عن أداء واجباته الدينية وكان يهتم اهتماماً بالغاً بالصلوة والعبادة وأداء الحقوق ويسهر سلوكه مع ذوي أسرته وأقاربه ، وكان يفكر دائمًا في قضايا الأمة العربية والإسلامية ويسهر الليالي في توحيد الجزيرة العربية وإنشاء الوحدة العربية وتنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية وإزالة البدعات والضلالات وإصلاح الشعب والمجتمع لتكون كلمة الله هي العليا في مشارق الأرض ومغاربها .

وكان من عاداته أنه يستيقظ قبل الفجر بساعة ، ويقرأ ما تيسر من القرآن الكريم حتى القيام لأداء صلاة الفجر ، ثم ينصرف إلى بيته ويعود إلى قراءة شيء من القرآن العظيم والأوراد الصحيحة النسبة إلى النبي الكريم ﷺ ، وبعد ذلك يتوجه إلى الأشغال اليومية الأخرى ، وهكذا كان من شيمته أنه -

(١٢) دور المملكة العربية السعودية في تطوير الأدب العربي الحديث - للدكتور أنور حفيظ الندوبي ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(١٣) بذلة تاريخية عن بحد - أملاها الأмир ضاري بن فهيد الرشيد وكتبها وديع البستاني ، ص ١٢٦ .

عملاً لهم ، وبذل الإمام جهوداً مضنية لاستعادة مملكته وحكم آبائه ولكن لم تتکلل جهوده هذه بالنجاح ، وفي النهاية أیقـن أن الأمر فوق مقدوره ، واعترمـ من معهـ من أهلهـ وبعـض الموالـين لآلـ سعود علىـ أن يـشدـ أزرهـ ، فتركـ بـحدـا إلىـ الأحسـاء فالقطـيف فالـكويـت ، حيثـ ألقـى عصـا التـسيـار مـنتـظـراً ماـ تـأـتـيـ بهـ المـقادـيرـ لهـ ، ولكنـ اللهـ العـلـيـ القـدـيرـ الذـيـ قدـ أـعـدـ لـلـصـابـرـينـ أـجـرـهـ ، عـوضـ الإمامـ عبدـ الرـحـمـنـ بنـ فـيـصلـ خـيرـاً ، فـأـرـاهـ قـبـلـ موـتهـ رـاـيـةـ ولـدـهـ عبدـ العـزـيزـ تـرـفـرـفـ لـاـ عـلـىـ مـلـكـةـ الإـمـامـ فـيـصـلـ فـحـسـبـ ، بلـ عـلـىـ مـلـكـةـ الحـجازـ كـلـهاـ أـيـضاًـ .

ومنـ المـلـاحـظـ أـنـ الفـتـرةـ ، الـتيـ أـقـامـ فـيـهاـ عبدـ العـزـيزـ مـعـ والـدـهـ فيـ الـكـويـتـ وـهـيـ تـمـتدـ إـلـىـ عـشـرـ سـنـوـاتـ تـقـرـيـباًـ ، كـانـتـ مـتـسـمـةـ بـالـنزـاعـاتـ وـالـصـرـاعـاتـ فـيـ دـاخـلـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ وـكـانـتـ مـلـيـئـةـ بـالـنـاـورـاتـ وـالـخـاورـاتـ السـيـاسـيـةـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـ الـعـالـيـ فـيـماـ بـيـنـ الدـوـلـةـ الـعـمـانـيـةـ الـتـيـ هـاـ السـيـطـرـةـ الـاسـيـةـ عـلـىـ بـلـادـ الـعـرـبـ حـيـنـذاـكـ ، وـبـيـنـ بـرـيطـانـيـاـ الـتـيـ كـانـتـ تـقـيمـ عـلـىـ شـوـاطـئـ الـخـلـيجـ الـعـرـبـيـ ، وـبـيـنـ أـلـمـانـيـاـ وـرـوـسـيـاـ الـتـيـ كـانـتـ تـسـعـيـانـ لـإـيجـادـ مـنـفذـ لـهـمـ عـلـىـ الـخـلـيجـ ، وـكـانـتـ الـكـويـتـ مـسـرـحاـ لـتـلـكـ التـيـارـاتـ السـيـاسـيـةـ الـعـالـيـةـ ، فـكـانـ عبدـ العـزـيزـ يـرـقـبـ كـلـ هـذـهـ الـمـحـرـياتـ وـيـمـعـنـ الـعـقـلـ وـالـفـكـرـ فـيـ هـذـهـ الـأـحـدـاثـ وـالـصـرـاعـاتـ ، كـمـ أـنـهـ كـانـ يـعـيـشـ فـيـ الـكـويـتـ بـيـنـ الـوـفـودـ مـنـ مـنـدـوبـيـ الـدـوـلـ الـمـخـلـفةـ وـيـتـرـدـدـ إـلـىـ مـجـالـسـ الـقـادـةـ وـالـأـمـرـاءـ فـأـكـسـبـتـ لـهـ هـذـهـ كـلـهاـ الـخـنـكـةـ وـالـخـرـبةـ السـيـاسـيـةـ وـالـمـهـارـةـ فـيـ الشـؤـونـ الـدـولـيـةـ وـفـهـمـ التـوازنـ بـيـنـ الـقـوـىـ الـعـالـيـةـ وـالـمـخـلـيـةـ وـحـصـلـتـ لـهـ الـبرـاعةـ فـيـ التـعـاملـ مـعـهـاـ فـيـ الـمـسـتـقـبـلـ ، وـهـذـاـ السـبـبـ أـصـبـحـ سـيـاسـيـاـ مـحنـكاـ

حـصـيفـ الرـأـيـ فـيـ الـأـعـوـامـ الـقـادـمـةـ ، وـأـدـارـ دـفـةـ الـبـلـادـ بـحـكـمـةـ الـرـبـانـ الـمـاهـرـ فـيـ بـحـرـ الـلـجـيـ ، فـابـتـدـعـ بـيـلـادـهـ عـنـ خـضـمـ السـيـاسـاتـ الـعـالـيـةـ وـتـيـارـاهـ الـعـاتـيـةـ ، وـلـمـ يـقـعـ فـيـ جـبـائـلـهـ كـمـاـ وـقـعـ فـيـهاـ الـعـدـيدـوـنـ مـنـ مـعاـصـيـهـ ، مـنـ كـانـوـاـ يـظـنـوـنـ بـأـنـفـسـهـمـ كـلـ الـظـنـ وـتـنـتـفـخـ أـوـدـاجـهـمـ تـبـاهـيـاـ وـفـخـراـ .

مايو ويونيو ٢٠١٣ م

٥٧/٥٧

٤١٤٣٤ - ج ٥٨ / رجب وشعبان ١٤٣٤

١٤٣٤ - ج ٥٨ / رجب وشعبان

٥٦/٥٦

مايو ويونيو ٢٠١٣ م

وـجـديـرـ بـالـاقـنـادـ وـالـاحـتـذـاءـ .

وـالـمـلـكـ عبدـ العـزـيزـ مـعـروـفـ فـيـ بـلـادـ الـعـرـبـ بـكـرـمـ الـخـلـقـ وـبـسـطـ الـيـدـ ، لاـ يـعـرـفـ أـيـ قـيـمةـ لـلـدـرـاهـمـ إـلـاـ إـلـاـ وـسـيـلـةـ لـلـزـلـفـيـ عـنـ الـلـهـ أـوـ لـبـنـاءـ الـمـسـجـدـ أـوـ حـسـنـ الـذـكـرـيـ ، فـلـاـ يـضـيقـ صـدـرـهـ إـلـاـ عـنـ مـاـ يـجـدـ حـرـائـهـ تـضـيقـ عـنـ الـطـلـبـاتـ وـالـعـطـاـيـاـ ، فـهـوـ يـتـكـدرـ خـوفـ أـنـ يـظـهـرـ عـظـمـ الـعـاجـزـ أـمـامـ السـائـلـينـ الـذـينـ تـعـودـوـ رـفـدـهـ ، وـهـوـ فـيـ لـأـصـدـقـائـهـ وـمـحـافـظـ عـلـىـ وـدـهـ ، وـالـأـسـتـاذـ حـافـظـ وـهـبـهـ أـيـضاـ ، الـذـيـ صـاحـبـ الـمـلـكـ عبدـ العـزـيزـ مـدـةـ طـوـيـلـةـ فـيـ السـلـمـ وـالـحـربـ وـعـاـشـهـ فـيـ الـبـادـيـةـ وـالـحـاضـرـةـ وـشـاهـدـ اـعـمـالـهـ وـعـادـاتـهـ عـنـ كـتـبـ ، أـعـرـبـ رـأـيـهـ عـنـ بـعـضـ صـفـاتـهـ قـائـلاـ :

"هـوـ مـتـوـاضـعـ ، طـيـبـ الـعـشـرـةـ ، رـقـيقـ السـمـرـ ، لـهـ جـاذـبـيـةـ مـلـنـ يـعـرـفـهـ تـشـبـهـ السـحـرـ ، وـإـنـ لـاـ ذـكـرـ أـنـ وـاحـدـاـ مـنـ كـبـارـ الـإنـجـليـزـ عـرـفـهـ وـعـاـمـلـهـ إـلـاـ أـحـبـهـ ، وـلـاـ يـزالـ لـهـ أـصـدـقـاءـ مـنـ الـإنـجـليـزـ الـذـينـ كـانـ لـهـ مـعـهـمـ اـتـصـالـ سـيـاسـيـ ، وـهـوـ كـثـيرـ الشـبـهـ بـمـعـاوـيـةـ بـنـ أـبـيـ سـفـيـانـ فـيـ حـلـمـهـ وـبـعـدـ نـظـرـهـ وـحـسـنـ حـيـلـتـهـ فـيـ تـصـرـيفـ الـأـمـورـ" (١٧) .

الملك عبد العزيز في الكويت :

وـقـدـ سـبـقـ الذـكـرـ أـنـ الـمـلـكـ عبدـ العـزـيزـ بـنـ عبدـ الرـحـمـنـ لـمـ بـلـغـ أـشـدـهـ وـلـمـ يـتـجاـوزـ عـمـرـهـ عـنـ خـمـسـ عـشـرـ سـنـةـ ، قـدـ وـصـلـ الـحـكـمـ الـسـعـودـيـ بـسـبـبـ الـصـرـاعـ الـأـسـرـوـيـ إـلـىـ وـشـكـ التـصـدـعـ وـالـإـهـيـارـ ، وـاضـطـرـ أـبـوهـ الـإـمـامـ عبدـ الرـحـمـنـ بـنـ فـيـصـلـ إـلـىـ النـزـوحـ عـنـ وـطـنـهـ الـحـبـيـبـ وـالـهـجـرـةـ عـنـ مـقـعـدـ الـدـوـلـةـ السـعـودـيـةـ ، وـفـيـ طـلـبـ الـلـجـوـءـ أـنـ رـاحـ مـعـ أـسـرـتـهـ إـلـىـ الـكـويـتـ حـيـثـ اـسـتـقـرـ مـقـامـهـ .

لـقـدـ كـتـبـ الـقـدـرـ أـنـ يـرـىـ عبدـ الرـحـمـنـ بـنـ فـيـصـلـ بـحـدـ أـبـيهـ وـإـمـارـةـ أـسـلـافـهـ ، وـيـرـىـ مـأـسـاةـ الـخـلـافـ وـالـعـدـاءـ بـيـنـ أـخـوـيـهـ عبدـ اللهـ وـسـعـودـ ، تـلـكـ الـمـآـسـاةـ الـتـيـ اـنـتـهـتـ بـاـنـسـحـابـهـ إـلـىـ الـكـويـتـ يـعـيـشـ فـيـهاـ ضـيـفـاـ غـرـيـباـ بـعـدـ أـنـ كـانـ أـمـيرـاـ مـبـحـلاـ ، فـقـدـ كـبـرـ عـلـىـ الـإـمـامـ عبدـ الرـحـمـنـ أـنـ يـعـيـشـ فـيـ الـرـيـاضـ بـلـدـ آـبـائـهـ وـأـجـدادـهـ بـعـيـداـ عـنـ الـنـفـوذـ وـالـقـوـةـ تـحـتـ رـحـمـةـ آلـ رـشـيدـ الـذـينـ كـانـوـاـ بـالـأـمـسـ

(١٧) جـزـيـةـ الـعـرـبـ فـيـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ - لـلـأـسـتـاذـ حـافـظـ وـهـبـهـ ، صـ/ ٢٨٧

نشأ علي أحمد باكثير في إندونيسيا وترعرع فيها وبدأ يتعلم اللغة الملاوية إلى جانب اللغة العربية الأم ، وكان التقليد السائد في الجالية اليمنية هناك أن أولياء الأمور كانوا يرسلون أولادهم إلى اليمن إذا بلغوا السابعة أو الثامنة من عمرهم لينشأوا نشأة إسلامية ويتعلموا اللغة العربية في منشئها ويتقنوها ، وكذلك لما بلغ علي باكثير الثامنة من عمره أرسله أبوه إلى أخوه بمدينة سيون في حضرموت حيث التحق بمدرسة النهضة وقضى هناك وقتاً لا يأس به ، وكان أقرباؤه من أهل العلم والفضل فاستفاد منهم جميعاً ، خاصة القاضي محمد بن محمد باكثير ، الشاعر اللغوي والنحواني الكبير ، وكذلك تعلم الدين الإسلامي واللغة العربية من أساتذته الآخرين .

وما أن بلغ باكثير الثالثة من عمره إذ رغب في الشعر والشعراء ، قرأ الشعراء وحفظ كثيراً من أشعارهم ، وكان يعجب من بينهم بالمتني وبدأ ينظم الشعر على غراره ، ولما أنسد باكثير أشعاره لأساتذته وأقربائه أعجبوا به ومدحوه وشجعوه ، واستمر باكثير في قرض الأشعار ، وبعد تخرجه من مدرسة النهضة بدأ يدرس فيها ويساهم في إدارتها .

وبحسب التقليد السائد في المجتمع الإسلامي تزوج باكثير في سن مبكرة ، وقد شغف بزوجتها الشابة جداً جماً ولكن المقادير حالت دونهما وسلبت منه حبيبته ، وهذه الصدمة العنيفة تركت آثاراً سلبية على نفسانية باكثير ، فكان يذكرها ويذرف دموعه ويقرض الأشعار في ذكرها .

ولم يستسغ الحياة في حضرموت وهاجر إلى عدن ولكنه لم يق هنا طويلاً وعن طريق البحر وصل إلى الصومال ثم الحبشة والبلدان المجاورة لكن لم يطب له المناخ فتوجه إلى بلاد الحجاز وأقام في مدن مكة والمدينة والطائف ، وكانت هناك حركة أدبية نشطة لها صلة قوية بالنهضة الأدبية الجارية في مصر وببلاد الشام ، وأضرمت هذه الحركة النار في قلوب الأدباء والشعراء في الحجاز .

وتوثقت علاقاته مع أدباء الحجاز ، حتى لم يكن يقر له القرار إلى أن

يلتقي بعالم أو أديب أو شاعر ، وكان أدباء الحجاز يعقدون جلسات أدبية في الطائف حيث تعقد أمسيات شعرية وتناقش القضايا الأدبية ، ويذاكرون الأدب والأدباء ، وبدأ يتردد باكثير على هذه المجالس ، وهنا تعرف على أدباء مصر وشعرائهم وأعجب منهم بأحمد شوقي وحافظ ، ووقعت بيده مسرحيات

علي أحمد باكثير

أضواء على حياته ودراسة لبعض أعماله

(الحلقة الأولى)

بقلم : الدكتور عبد الرحمن طيب
الأستاذ المشارك ، جامعة راجوري ، ولاية جمو وكشمير
باكثير : الشاعر الموهوب ، الأديب الجيد ، القاص البارع ، الروائي المرموق والمسرحي العظيم ، طرق كل أبواب العلم والأدب من الشعر والقصة والرواية والمسرحية واحتضن أخيراً لنفسه مجال المسرحية ، بدأ عطاءاته في وقت مبكر واستمر حتى آخر لحظات حياته ، أثرى المكتبة العربية بإنتاجاته المتنوعة ، كلها تتدفق بالحياة والحيوية والأصالة ، ونان الحوائز العديدة في مختلف المسابقات التي عقدتها الحكومة المصرية ، وبيدوا من خلال مسرحياته الكثيرة الناجحة أنه بحق ملك المسرحية ، واعترف بعكانته الأدباء الكبار وقد أثنى عليه الأديب المصري الشهير أنيس منصور قائلاً : "ومسرحياته نموذج رفيع للمعيار الفني ، ومن النادر أن نجد مثل باكثير في اقتداره على الحوار والحبكة المسرحية ، والهندسة العقلية" (١) .

حياته وتعليمه :

كان اليمنيون يستغلون بالتجارة منذ قديم الزمان ، وحتى بعد بزوغ نور الإسلام في الجزيرة العربية استمروا في مهنتهم ، وكانوا يسافرون إلى بلاد العالم مثل إندونيسيا والهند وغيرها ، ومن بين هؤلاء اليمنيين كانت أسرة باكثير التي هاجرت إلى مدينة سورابايا في إندونيسيا لأغراض تجارية واستوطنت فيها ، ورزق أحمد باكثير ولد بتاريخ ١٥/١٢٨ هـ الموافق ٢١/ديسمبر ١٩١٠ وسماء "عليها" معرباً عن حبه واحترامه للإمام علي رضي الله عنه .

(١) علي أحمد باكثير في مرآة عصره : د/محمد أبو بكر حميد ، مكتبة مصر ، القاهرة - مصر ص/ ٨٧ .

علي أحمد باكثير أضواء على حياته ودراسة بعض أعماله

استطاب باكثير الحياة المصرية فاستوطنها وتزوج عام ١٩٤٣ من سيدة متدينة مصرية لها ابنة من زوجها السابق ، وقد تربت الأبنة في كتف باكثير الذي لم يرزق بالأولاد ، وحصل باكثير على الجنسية المصرية بمرسوم ملكي في ٢٢/٨/١٩٥١ م .

تعرف باكثير على كبار الأدباء والشعراء في مصر وانعقدت الصداقة معهم مثل عباس محمود العقاد وحسن كامل الصيرفي وإبراهيم عبد القادر المازني وكان هؤلاء يعجبون بانتاجاته الأدبية وقدرها ، وتوسعت علاقاته مع أدباء وشعراء الأقطار العربية الأخرى مثل اسعاف النشاشيبي من فلسطين وبدر شاكر السياب من العراق وعلال الفاسي من المغرب والفضل الورتاني من الجزائر وغيرهم .

نشر باكثير إنتاجاته في العديد من المجلات العربية منها مجلة "التهذيب" التي أصدرها بالتعاون مع أدباء سيون مدينة آبائه ، كما نشر مقالاته في المجلات والصحف الأخرى مثل الوادي ، المعرفة ، الفتح ، الرسالة ، الثقافة ، الأسبوع ، أبواب ، الرسالة الجديدة وغيرها ، وهذه المجلات والصحف مهمة جداً لدراسة شخصية باكثير .

ساهم باكثير في الحياة الثقافية لمصر ، ولما تم تشكيل اللجنة العليا للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية انتخب عضواً في اللجنة على الشعر والقصة ، وكذلك لما أقر قانون التفرغ الذي بموجبه سمح للموظفين بالحصول على إجازة مع الراتب لعمل علمي فقد منح باكثير إجازة التفرغ لمدة ستين مع الراتب حيث أنجز عمله الضخم الذي يعد ثان أكبر عمل في باب الملحمات في العالم ، إلا وهي الملhma الإسلامية الكبرى عمر رضي الله عنه .

في عام ١٩٥٤ م زار باكثير فرنسا فيبعثة دراسية حرّة واطلع فيها على الآداب الفرنسية ، وفي عام ١٩٥٦ م زار رومانيا والاتحاد السوفيتي عضواً في وفد أدباء مصر بدعوة من الاتحاد كتاب رومانيا واتحاد كتاب الاتحاد السوفيتي ، وفي عام ١٩٥٨ م مثل الجمهورية العربية المتحدة في مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا الأول الذي عقد في طشقند^(٤) .

(٤) باكثير في مرآة عصره : الدكتور / محمد أبو بكر حميد ، ص ١٤ .

شوفي فكانه وجد ضالته واتبع خطواته وكتب مسرحية شعرية تسمى بـ "هام في بلاد الأحقاف"^(٢) يبدو فيها أثر شوفي بصورة جلية . تأثر باكثير بالحركة الأدبية في مصر واشتاق إلى زيارتها لاروأه غليله العلمي وفي عام ١٩٣٤ م شد الرحال إلى القاهرة والتحق بقسم اللغة الإنكليزية ، كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً) ولعل الأديب السوري حب الدين الخطيب هو الذي أرشده إلى ذلك ، وفي تلك الأيام كان الأدباء المتغربون متعددين في إمكانيات اللغة العربية وقدرها على مواكبة الزمن المتغير وكانتوا يريدون ترويج العامية في مكانتها ، ومن جانب آخر كان أعداء الإسلام يوجهون سهام انتقادهم إلى الحضارة الإسلامية واللغة العربية ، وللد رد على هؤلاء كان من الضروري أن ينهض الشبيبة متسلحين بالآداب العربية والغربية ويدحضوا مزاعم المتغربين بأدلة دامغة ، وقد خاض هذه المعركة على أحمد باكثير بنجاح ليكون فيما بعد رائداً للنثرية الإسلامية في الشعر والرواية والمسرحية .

وفي القاهرة التقى بالعالم الجليل والأديب الكبير الشيخ محى الدين الخطيب الذي كان يصدر جريدة الفتح ويمتلك المطبعة السلفية فبدأ باكثير بنشر أشعاره في جرينته ونشر من مطبعته مسرحيته "هام في بلاد الأحقاف" كتبها في مدينة الطائف .

في عام ١٩٣٩ م حصل باكثير على شهادة الليسانس في الأدب الإنكليزي وفي عام ١٩٤٠ م حصل على الدبلوم في التعليم وال التربية ، وتم تعينه كمدرس اللغة العربية في مدرسة الرشاد الثانوية بمدينة المنصورة حيث عمل لمدة عشرة أعوام فيها ثم نقل إلى القاهرة وقضى فيها خمسة أعوام في التدريس ، وفي عام ١٩٥٥ م انتقل للعمل في وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمصلحة الفنون وقت إنشائها ، ثم انتقل إلى قسم الرقابة على المصنفات الفنية وظل يعمل فيه حتى وفاته^(٣) .

(٢) ملحوظة : هناك خلاف حول اسم الكتاب ، فقد جاء العنوان كـ "هام في عاصمة الأحقاف" أو "هام في بلاد الأحقاف" ، ولكن العنوان المطبوع على الكتاب "هام في بلاد الأحقاف" .

(٣) قاموس الأدب العربي الحديث : د/حمدي السكوت ، دار الشروق ، القاهرة مصر عام ٢٠٠٦ م ص ٣٧٤ .

الجوائز:

حاز علي أحمد باكثير على كثير من الجوائز والأوسمة ، منها : جائزة المبارأة الأدبية للفرقـة القومـية عام ١٩٤٠ عن مسرحيـة (إختـاتـون ونـفـرـتـيـتـيـ) وجـائـزة وزـارـة الشـؤـون الـاجـتمـاعـية عـام ١٩٤٣ عـن مـسـرـحـيـة (سـرـ الحـاـكم بـأـمـرـ اللـهـ) وجـائـزة السـيـدة قـوتـ قـلـوبـ الدـمـرـدـاشـيـة عـام ١٩٤٤ عـن روـايـة (سلامـةـ القـسـ) ، وقد نـالـ الجـائـزةـ منـاصـفـةـ معـ الكـاتـبـ نـجـيبـ مـحـفـوظـ وـجـائـزةـ وزـارـةـ المـعـارـفـ عـام ١٩٤٤ عـنـ مـسـرـحـيـةـ (الـسـلـسـلـةـ وـالـغـفـرـانـ) وـجـائـزةـ وزـارـةـ المـعـارـفـ عـام ١٩٤٥ عـنـ روـايـةـ (واـ إـسـلـامـاهـ) وـجـائـزةـ وزـارـةـ الشـؤـونـ الـاجـتمـاعـيـةـ عـام ١٩٥٠ عـنـ مـسـرـحـيـةـ (أـبـوـ دـلـامـةـ) وـجـائـزةـ الجـلسـ الشـؤـونـ الـاجـتمـاعـيـةـ عـام ١٩٦٠ عـنـ مـسـرـحـيـةـ (دارـ ابنـ لـقـمانـ) وـجـائـزةـ الدـولـةـ التـشـجـيعـيـةـ فـيـ الأـدـبـ عـام ١٩٦٢ عـنـ مـسـرـحـيـةـ (هـارـوتـ وـمـارـوتـ) .

الأوسمة:

منـحـهـ الرـئـيسـ جـمالـ عبدـ النـاصـرـ وـسامـ العـلـومـ وـالـفـنـونـ منـ الـدـرـجـةـ الأولىـ عـامـ ١٩٦٣ـ كـماـ حـصـلـ فـيـ نـفـسـ العـامـ عـلـىـ وـسامـ عـيدـ الـعـلـمـ وـوسـامـ الشـعـرـ ، وـمـنـحـهـ هـيـثـةـ رـئـاسـةـ مجلـسـ الشـعـبـ الـأـعـلـىـ فـيـ الـيـمـنـ الجنـوـبـيـةـ (سابـقاـ) وـسامـ الـآـدـابـ وـالـفـنـونـ عـامـ ١٩٨٥ـ وـمـنـحـهـ الرـئـيسـ عـلـيـ عـبدـ اللـهـ صـالـحـ - رـئـيسـ الـجـمـهـورـيـةـ الـيـمـنـيـةـ وـسامـ الـاستـحقـاقـ فـيـ الـآـدـبـ وـالـفـنـونـ عـامـ ١٩٩٨ـ مـ (٥ـ) .

الوفاة: توفي باكثير في غرة شهر رمضان المبارك سنة ١٣٨٩هـ الموافق ١٠ نوڤمبر ١٩٦٩م إثر نوبة قلبية حادة لم ينج منها ، (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

أخلاقه وعاداته:

كان باكثير يتحلى بالخلق العالى فكان أميناً صادقاً وفيما بالعهود ، يخدم الناس جـاءـ اللـهـ ، كان لا يـرـيدـ مـنـهـ ثـنـاءـ وـلاـ جـزـاءـ ، وـلاـ يـطـمـعـ فـيـ مـالـ أوـ الجـاهـ ، لم يـخـضـرـ بـابـ وزـيرـ أوـ موـظـفـ حـكـومـيـ قـطـ ، كان يـكـرهـ النـفـاقـ وـالـمـرـاءـةـ ، عـاشـ لـكـلـمـةـ الـحـقـ وـمـاتـ عـلـيـهاـ ، لم يـساـوـمـ قـطـ قـلـمـهـ وـلـمـ يـداـهـنـ فـيـ كـتـابـتـهـ معـ

الباطل ، وقف حياته لحماية الثقافة العربية والإسلامية وجعل هم حياته خدمة اللغة العربية ، كان يتصور الأمة الإسلامية قاطبة عائلة له ، كان يود أن يرى الشعوب العربية أمة واحدة ، كان متفتح الذهن متقد القلب كما كان يعتبر الحضارة المصرية القديمة ، وتراثها تراث الأمة الإسلامية ، وقد حكى أقرباؤه وأحبابه وأصدقاؤه روايات وحكايات عن حياته وأخلاقه وهمومه تجاه الأمة لا يمكن تسجيلها في هذه العجلة ، إلا أنها ذكر بعضًا منها لتكون أسوة حسنة للشبيبة المسلمين .

اختلاف الرأي مع الاحترام :

من أحسن أخلاق المرء أن يفسح المجال للآخرين ويحترم آراءهم ولا يفرض عليهم رأيه ، ويحكي أحمد عباد اليمني عن حسن كلام باكثير واحترامه للآخرين ، "وفي سنة ١٩٥٨ تعرفت على أخي كريم من عائلة شبيان الحضرمية له صلة قرابة بياكثير ورأيتها فرصة ليقدمني للكاتب الكبير ، وبالفعل أزمتنا في صيف ذلك العام للقاهرة وزرنا الأستاذ باكثير في منزله ... وكان من حظي إن كان مقعدى مواجها له ، وكان أهم ما لفت نظرى رحابة صدر باكثير لكل المحدثين ، فهو يستمع إليك حتى تتم حديثك فإذا سكت أحبابك بإيجاز ، ولم أره قاطع أحدا وإن اختلف معه ، بل هو يشعرك أنه يحترم رأيك ، ولن يضير رأيك شيئاً أن يقدم إلى جانبه رأياً آخر" (٦) .

ومع احترامه البالغ للآخرين كان صاحب مبدأً و موقفاً ولم يساوم قلمه لشيء صغير أو كبير بل لم يطبع في مال أو جاه قط ويقول عنه الدكتور عبده بدوي من جمهورية مصر وهو أحد أصدقائه :

"إن علي أحمد باكثير عاش مخلصاً - إلى أن مات - للفكر الذي آمن به ، وجعله مبدأه ، ولم يرض أن يتزحزح قيد أثقله عما احتطه لنفسه ، ولم يكن يعرف الجاملة والمحاباة والتزلف ، فقد عاش لشرف الكلمة ، لهذا فهو لا يقترب من المسؤولين في السلطة ... لكنه كان يوصل إليهم كلامه بالكلمة المكتوبة فقط ! ثم يوصـدـ دوـنـهـ الأـبـوابـ ، وـمـاـ رـؤـىـ عـلـىـ بـابـ وزـيرـ أوـ مـخـفـيـاـ بـلـقاءـ مـسـؤـولـ ، لهذا لم نـعـرـفـ لهـ مـكـباـ أوـ وـظـيـفـةـ فـيـ الـأـعـوـامـ الـأـخـيـرـةـ منـ حـيـاتـهـ" (٧) .

(٦) باكثير في مرآة عصره : د/محمد أبو بكر حميد ، ص/١٢٣ .

(٧) باكثير في مرآة عصره : د/محمد أبو بكر حميد ص/٨٢ .

البحث الإسلامي

علي احمد باكتير أضواء على حياته ودراسة بعض اعماله

مدرسـة الرشـاد الثـانـويـة بالـمنـصـورـة ، ولـكـنـتـا كـنـا نـرـاهـعـنـدـ ماـيـأـتـىـ إـلـىـ القـاهـرـةـ .

وَعِنْدَ مَا أَعْلَنَتِ الْحَرْبُ الْعَالَمِيَّةُ الثَّانِيَّةُ رَأَيْنَا أَنْ نَغَادِرَ الْقَاهِرَةَ ، وَخَيْرَتْ
فَانْحَرَتْ الْمُنْصُورَةُ لِاكْمَالِ دراسَتِي فِيهَا لِأَحْظَى بِمُحَاوِرَةِ الأَسْتَاذِ يَا كَثِيرَ -
رَحْمَهُ اللَّهُ - وَكَانَ الأَسْتَاذُ يَسْكُنُ بِشَقَّةٍ مُتَوَاضِعَةٍ تَكُونُ مِنْ ثَلَاثَ غُرَفَ
بِسُطْحِ الْمَنَازِلِ بِمِيدَانِ الطَّمِيَّهِيِّ بِالْمُنْصُورَةِ ، وَهُنَاكَ تَوْثِيقَتْ بَيْنِ وَبَيْنِهِ الْعَصْلَهُ .

ورغم أنني كنت أسكن في سكن داخلي يتبع للمدرسة إلا أن الأستاذ باكثير والستة الوالدة زوجته لا يتركاني أبداً لطعام السكن الداخلي ، فكثيراً ما كان يفاجئني ويأخذني إلى منزله ، وهناك التهم كافة أنواع الأطعمة الشهية التي يحلم بها طالب مثلني ، ورغم قلة موارده فقد كان الأستاذ كريماً ومضيافاً لم أشهد في حياتي أكرم منه ، ولما أصبت بالحمى ذات مرة أصر على نقلني إلى منزله وقامت الستة أم إجلال بتمر يضي وأحسست أنني ابنهما لأنني لم أكن أتصور أن يفعل لا بن لهما من صلبهما أكثر مما فعلاه لي ، وهكذا انقضت فترة إقامتي في المنصورة لم يجعلني فيها الأستاذ باكثير أشعر بغربة إلى أم وأب فقد كانا لي هو وحدهم خير عوض لكل ما يحرم منه الطالب الغريب" (٢) .

احترام الأساتذة :

كان باكثير يحترم أستاذته احتراماً بالغاً ولم ينس قط علو مقامهم ومنهم ولطفهم به في تعليمه وتربيته وإن بلغ المكانة العليا في الوظائف وذاع صيته كشاعر وأديب ومسرحي في الأوساط العلمية والأدبية على مستوى العالم العربي ، ويحكى لنا أحمد محمد بن صافي قصة رائعة عن حبه واحترامه لأستاذته ، زار باكثير وطنه الأم في آخر أيام حياته ولما وصل إلى مدينة سيون بحضور موت رحب به ترحيباً حاراً من الأحباء والأصدقاء وعقد له حفلة تكريمه حيث ألقى الناس خطباً وقصائد في مدحه وفي هذه الأثناء حضر أستاذه الذي كان درسه في المرحلة الثانوية ، "وبينما كان الجميع يتظرون رد الضيف الكبير على ما قالوا من خطب الترحيب وقصائد الاحتفاء إذا بالأستاذ والمربى الحليل علوي بن عبد الله السقاف يدخل مع بعض أصحابه وإنحوانه للترحيب بالضيف الكبير ، والأستاذ علوي من المعلمين الذين تتلمذ الأستاذ باكثير على

^{٩)} ياكشى في مرآة عصره : د/محمد أبو بكر حميد ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

مایو ویونتو ۱۳۰۳

التواءع واجود : من حسن أخلاق المرء أن يكون متواضعاً ومتفتح القلب والدهن وأن يجود بماله وعلمه على الآخرين ، كان عبد الحميد جودة السحار وبأكثر صديقين متحابين ، وقد كتب السحار عن أول لقاءه مع باكثير وكيف تأثر به ، "كنا في شهر يونيو من عام ١٩٤٢م ، دخلت مكتبي وحررت رسالة للأستاذ باكثير مدرس اللغة الإنجليزية بمدرسة الرشاد الثانوية بالمنصورة ، لم يسبق لي معرفة باكثير ومع ذلك كتبت إليه أدعوه أن يشتراك معنا .

وجاءني رد باكثير يرحب بالفكرة ويحدد موعداً لزيارتي في منزلي ،
وفي المعیاد وقفت في الشرفة أرصد مقدمه : كنت كلما رأيت رجلاً ضخماً
حسبته باكثير فأتاهب لاستقباله ، ولكن الرجل كان يمر بالمنزل دون أن
يعرج فأدعوه للتطلع والتطوع . منع شخصية باكثير لكل قادم طويلاً عريضاً .
وأخيراً سمعت طرقاً خفيفاً على باب مكتبي ، وإذا بالأستاذ أمامي ،
وإذا به مختلف عن كل الصور التي تبرع بها خيالي !

و جلسنا نتحدث فأحسست أن روحى تنجذب إليه ، و شعرت بعد لحظات قصار أننى أمام صديق أعرفه من سنين ، لقد تفتح له قلبي منذ اللحظة الأولى التي عرفته فيها ، و تيقنت أننى أمام إنسان يمكن أن يمنحه المرء كل ثقته وهو مرتاح الضمير .

وقدم إلى قصته "سلامة القدس" وسألته عما يطلبه فإذا به يستنكر سؤالي ويسارع ليقول إنه لا يريد مالاً، وكل ما يطلبه هو بعض النسخ لأصدقائه" ! (٨).

كان باكثير جواداً مضيافاً منقطع النظير ويحكي لنا تلميذه عمر عثمان العمودي قصته مع أستاذه حيث كان يعيش في القاهرة طالباً ، كان من المتوقع أن يرسلني والدي من أندونيسيا إلى حضرموت موطننا الأصلي لكنه آثر أن يرسلني إلى القاهرة لأنزود بعلوم العربية والدين وزاد اطمئنانه بوجود صديقه الأستاذ باكثير بمصر ، وهكذا دخلت مصر صبياً صغيراً مع طلاب بعثة من جمعية الإرشاد الحضري الإسلامية ، وكان الأستاذ باكثير وقتها يعمل مدرساً

أيديهم في صباح وكان أستاذ بمدرسة النهضة بسيون ، وما إن دلف الأستاذ علوى حتى قام على أحمد باكثير من مجلسه مستقبلاً أستاذ في حفاظة واحترام ، وانشغل به وأعرض عن أصحاب القصائد والكلمات وعلى رأسهم بعض أفراد أسرته ، وإذا به يشيد بالأستاذ علوى ويقول بتواضع ... إنه كان له الفضل الأول في تعليمه وتشجيعه ، ويعتذر بأنه كان من الخلق به أن يذهب إلى بيت أستاذ لا أن يأتي هو إليه ، فرد الأستاذ علوى بأسلوب مهذب ليق شيداً بتلميذه وصل إليه من نجاح ، وأنه جدير بأن يكون كالأمام الشافعي الذي انتقد في الماضي على تردداته في زيارة تلميذه الإمام أحمد بن حنبل واستشهد بيتهن الإمام الشافعي يقول :

قالوا يزورك أحمد وتزوره قلت المكارم لا تفارق منزله
إن زارني فلفضله أو زرتة فلفضله فالفضل في الحالين له (١٠)
أعمال باكثير العلمية والأدبية :

الشعر : لقد وهب الله باكثير موهبة فذة لفرض الشعر فإنه بدأ يهتم بالشعر والشعراء منذ سن مبكرة حيث كان يدرس في مدرسة النهضة ، وكل ديوان يقع في يده كان يقرأه من البداية إلى النهاية ، فكان يعجب بالمتين من الشعراء القدامى وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم من الشعراء الجدد ، ولما قرر الشعر لأول مرة وقرأ على أقربائه وأحبابه وأساتذته ، فأبدى كل منهم سروره وشجعه على ذلك ، واحتار باكثير مجال الشعر والأدب لحياته واستمر فيه ، وقد أعجب بشوقي كثيراً ، وبقراءة مسرحياته الشعرية أحس بأن روحه المتعطشة وجدت دليلاً ومرشدًا في شوقي وصداته يتاغم مع صدي حياته ، وبلغ إعجابه بشوقي إلى درجة أنه كتب مسرحية شعرية على غراره باسم "هام في بلاد الأحقاف" ، هذه كانت محاولة أولى من قبله .

وفي أيام الصبا مال إلى الغزل وكتب كثيراً من القصائد والغزل ونشرها في الصحف والمجلات ولكنه لم ينشر بصورة ديوان في حياته ، إلا أن الأستاذ الدكتور محمد أبو بكر حميد قام بنشره في عام ١٩٨٧ م وسماه بـ "ازهار الربى في أشعار الصبا" ، هذه القصائد تشتمل على أشعار باكثير التي

(١٠) باكثير في مرآة عصره : د/محمد أبو بكر حميد ، ص/١٢٨.

. www.bakatheer.com

(١٢) نظام البردة أو ذكرى محمد ﷺ : على أحمد باكثير ، مكتبة مصر الف汗لة - بالقاهرة ، مصر .

صادمة ، لا تزال منها الأحداث ، ولا تُفْرِّغُها العواصف الموجاء" (١٣) .

أعماله الأدبية الأخرى :

قام باكتير بعمل جليل في أدب الملحم ، لا يوجد له نظير في الأدب العربي الحديث حيث كتب "الملحمة الإسلامية الكبرى عمر" التي تشمل على مجلدين ضمنين ، فالمجلد الأول يحتوي على ١٠ / أجزاء والثاني على ٩ / أجزاء ، قدم الكاتب صورة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأسلوب الحوار الشيق بكل دقة وأمانة مستوعباً كل أمر صغير وكبير من حياته ، والمعارك التي دارت بين المسلمين وبين الفرس والروم في مناطق العراق ، وإيران ، وببلاد الشام ، وما أبلى المسلمين فيها من شجاعة منقطعة النظير ، وقدموا من نماذج حية لل福德اء والإخلاص والتضحية والإيثار ، ثم كيف تعاملوا مع الأمم المفتوحة بالعدل والإحسان وحملوا أرواحهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقائدهم ومعايدتهم وقدروا مشاعرهم وعواطفهم فقدم الكاتب صورة شيقة وأثبت للدنيا أن المسلمين لم يفتحوا العالم لاحتلال أراضي الناس ونهب أموالهم واستعبادهم بل ليفتحوا لهم آفاق العالم ويخرجوهم من جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعتها : حرية التعبير عن الذات وحرية الدين والعمل والعقيدة ، ويبدو في هذا الكتاب مقدرة باكتير على كتابة الحوار الممتع على قمتها وبحق كان موقفاً في كتابة الملحمة التثوية في الأدب العربي ، ثاني أكبر ملحمة ثورية في العالم (١٤) .

ومن أهم كتب باكتير "فن المسرحية من خلال تجاري الشخصية" ، فهو في الحقيقة مجموعة من المحاضرات التي ألقاها باكتير أمام طلبة المعهد العربي في القاهرة من حين لآخر ، وهذا تراث قيم للأدب العربي ، وينم عن سعة اطلاع باكتير على الأدب المسرحي العالمي ونظرته النقدية إليها ، كما يسلط الضوء على أفكار وآراء باكتير الذاتية حول مختلف قضايا المسرحية ، ثم الكتاب مهم جداً من ناحية أخرى إذ أنه كتب عدداً كبيراً من المسرحيات التثوية والشعرية فهو خلاصة دراسته للمسرحية العالمية وعصارة تجارية في مجال المسرحية .

(يتبع)

(١٣) باكتير في مرآة عصره : د/محمد أبو بكر حميد ، ص/١١٣ . (١٤) الملحمة الإسلامية الكبرى

عمر رضي الله عنه : علي أحمد باكتير ، مكتبة مصر ، جودة السحار وشركاؤه ، القاهرة مصر .

٦٨/٦٨ - ج ٥٨ رب وشعبان ١٤٣٤ هـ م ٢٠١٣ م يونيو ٦٨/٦٨ - ج ٥٨ رب وشعبان ١٤٣٤ هـ م ٢٠١٣ م يونيو

صور وأوضاع :

حالة المجابهة في العالم الإسلامي

بقلم : محمد واضح رشيد الحسني الندوبي

يواجه العالم الإسلامي اليوم حالة المجابهة ؛ مجابهة بين الحكام والشعب ، ومجابهة بين مختلف طبقات الشعب ، حتى المجابهة بين العاملين لأهداف مشتركة ، وهذه المجابهة بوعت ومحركات ، منها إن الذين يشغلون مناصب رسمية ، ويستولون على مواضع النفوذ ، وهم مسلمون ؛ لأنهم ينحدرون من الأسر الإسلامية ، فيقررون بالإسلام كدين ، ويمارس بعضهم الشعائر الدينية ولو بصورة غير منتظمة ، وليسوا من الجاحدين ، بل إنهم يعزون بالإسلام وتاريخ الإسلام ، ولا يخجلون في انتسابهم إلى الإسلام والانحراف في سلكه ، وإذا أسيء إلى الإسلام في حضرتهم في مجلس من المجالس لغير المسلمين ، أو جحد جاحد فضل الإسلام أمامهم ، ثارت حفيظتهم ، وفارت غيرهم الكامنة .

إن هذه الطبقة من الأمة الإسلامية نشأت في مدارس غير المدارس الإسلامية ؛ بل نشأ بعض رجالها في البيئات المغايرة للطبيعة الإسلامية ، أو معاقل الأعداء ، ولا يظهر من مظاهرهم وأساليب وجههم ، وملابسهم ، ومنهج معيشتهم ، أنهم أصحاب الغيرة الإسلامية ، وأن قلوبهم حية نابضة بالعاطفة الإسلامية ، وكثير منهم لا يعرفون من الإسلام شيئاً ، وإنما قرأوا ما كتبه أعداء الإسلام ، ويحمل صورة سيئة للمجتمع الإسلامي ، وتفسيراً شائناً للتاريخ الإسلامي ، ولم تتح لهم فرصة للالتقاء بالعلماء ، والوعاظ ، أو من يتفهم بالثقافة الإسلامية ، منهم رجال القانون ، والسياسة ، والتعليم ، والإعلام ، والأدب ، والفن ، والرياضة ، ويختلط هؤلاء الرجال بأعداء الإسلام أكثر مما يختلطون بأصدقاء الإسلام بحكم مناصبهم ومستوياتهم ، وصلتهم الناس ، في النادي ، ومواضع التسلية ، وفي أثناء تأدية الأمور الرسمية .

يعيش هؤلاء الأشخاص في حالة شبه انفصال عن البيئة الإسلامية

مايو ويونيو ٢٠١٣ م

٦٩/٦٩ - ج ٥٨ رب وشعبان ١٤٣٤ هـ

والمجتمع الإسلامي ، في النشأة والتعليم ، والثقافة ، والمهنة ، والتجربة ، ولكن رجال هذه الطبقة ينتمون إلى الإسلام والمسلمين ، ويسعى كثير منهم إلى التزام بالتقاليد والشعائر الإسلامية في الحياة الخاصة ، والولادة ، والزواج ، والسلوك مع الناس ، ويخضررون أماكن العبادة في مناسباتها وتأدبة الشعائر الدينية حيناً بعد حين ، وينضم إلى مثل هذه الطبقة كثير من الحكام ، والوزراء ، والمسؤولين الكبار ، فإفهم إذا ذكروا الإسلام كدين ذكروه باعتزاز وشهامة ، ولا يشعرون بأي مركب نقص في ذلك الانتماء ؛ بل يقولون إنهم مسلمون ، وقد قال مرة أحد رؤساء بلد عربي كان له دور في ضرب الحركة الإسلامية ، إنه رئيس مسلم لبلد مسلم ، ودافع رئيس بلد عربي عن الإسلام في بلد أوربي ، ودعى إلى تغيير في بلد أوربي ، ودعا إلى تغيير موقف أوروبا إلى الإسلام .

ولا شك أن هذه الطبقة المثقفة بالثقافة الغربية ضعيفة في اتباع التعليم الإسلامي ، وعاطفتها الإسلامية ضعيفة ، وتحمسها للإسلام ضعيف ، وصلتها بالمجتمع الإسلامي منقطعة ، ومعرفتها بالإسلام ناقصة ؛ لكنها لا تدور على الإسلام ومثله ، ولا ترغب في الانسلاخ عن رياطه ، إلا نسبة ضئيلة ، وهي معدودة على البنا ، وتعلن خروجها عن الأسرة الإسلامية ، ومثل هذه النسبة موجودة في كل بلد ، وفي كل مجتمع ، ولا يخلو المجتمع الإسلامي من أمثال هؤلاء الأشخاص الخارجين الذين يجحدون تعاليم الإسلام ، فيerrون مثلاً الخمر والربا ، وطريقة العبادة الإسلامية ، وطريقة الدفن بعد الموت ، لكنهم يحملون الأسماء الإسلامية ، ويحتللون مناصب عالية .

إن هذا الانتماء إلى الإسلام يوجد بنسبة ، مهما كانت ضئيلة ، حتى وفي قلوب من يعيش حياة الفجور والفسق والإجرام ، وتنتابه حالات الإنابة والتوبة والخجل ، وخاصة في آخر مراحل العمر ، وله مشاهد وأمثلة كثيرة .

رغم صلة هذه الطبقة بالإسلام وتأييدها له في قلبها وذهنها ، تنبرى هذه الطبقة لمقاومة الحركة الإسلامية ، وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وتتخذ ،

إذا وجدت فرصة له ، أقسى الإجراءات لقمع هذه الحركة ، والبطش برجاتها ، وتعامل معهم معاملة الأعداء ، بل معاملة أقسى وأشد من معاملة الأعداء رغم صلتها بالأسرة الإسلامية ، ويشاهد هذا الموقف المعكوس في المحاكم والمخابرات ومؤسسات الأمن حتى التعليم والإعلام ، فيشعر صاحب العاطفة الإسلامية بالغربة في بلده .

إذا درسنا أسباب هذا التناقض وجدنا عوامل كثيرة كعامل الخضوع لسيادة الدول الأوروبية المعادية للإسلام والعمل الإسلامي ، والعوامل السياسية ، وهناك عامل آخر مهم للغاية ، وهو منهج أصحاب العمل الإسلامي وأسلوب معالجة القضايا والسلوك مع المسؤولين .

كان منهج السلف في العصور الماضية استكثار الشر ، والدعوة إلى الخير ، وكان يجري عمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بتطبيق هذه الدعوة في الحياة الفردية والاجتماعية ، وتكوين الذات تكون إسلامياً ، وكانت الدعوة توجه بلطف ولباقة وحكمة ، بدون الإساءة إلى أحد ، على المنهج النبي الشريف ، "فما بال أقوام" بدون تسمية أو إشارة ، بطريق لا يثير الإحن والضغائن ، ولا يثير النفوس ، ولا يمس كرامة الإنسان .

ولكن إذا درسنا منهج الخطباء المعاصرين في خطب الجمعة ، والدعاة في مواطنهم ، والكتاب الإسلامي في كتاباتهم ، وجدنا التلويع والدعاة في مواطنهم ، والكتاب الإسلامي في كتاباتهم ، وجدنا التلويع والتصريح ؛ بل الاعتداء على كل من لا ينضم إلى صفوفهم ، ولا يقتصر هذا الأسلوب على نقد الحكم ؛ بل يمتد إلى نقد رجال الطبقات العليا وأصحاب المناصب العالية ؛ بل يزداد خطورة عند ما يتعدى إلى نقد عامل إسلامي آخر ، يسعى كلامها للعمل الإسلامي ، فيجهز بشكوكه وظنونه عالية .

وشبهاته حول شخصيته ومنهجه ، ويولب عليه رجال الحكم .

وقد تصعد هذا الاتجاه في الشباب والمحتملين للدعوة الإسلامية الذين يسيئونظن أكثر مما يحسنون ، وقد مرت الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر بهذا التسرع في الحكم ، وفقدان روح التصبر ، والإشار ،

والتعاون في عمل الخير ، ونكران الذات ، والتواضع ، والتفهم والإفهام ، والتبشير ، فقدت تأثيرها على النفوس .

لقد غالب في نفوس بعض العاملين للإسلام الظن أن منهجمهم هو المنهج للدعوة ، وأنهم هم المخلصون وحدهم ، وأن الحكم الإسلامي لن يقوم إلا إذا قام بأيديهم ، وأن غيرهم خارج عن الإسلام ، ولا يوثق به ولا يستعان به ، فيبدأون التهجم على من لا يتفق معهم ويتضخم بذلك عدد أعدائهم وينضم رجال الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية إلى صفوف الأعداء . إن فشل الدعاة في كسب ثقة رجال الطبقة المثقفة بالثقافة العصرية وعدم صلاحيتهم للتوصل إلى أي اتفاق أو توافق معها ، والقدرة عليها في المرحلة الأساسية الخامسة وقطع الصلة بها ، والهجوم عليها والصراع الداخلي بين مختلف قادة الفكر الإسلامي ، يشكل العنصر الأساسي للأزمة التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم ، وهي أزمة باكستان ، وبангладيش ، ومصر ، والجزائر ، وسوريا ، ولibia ، وتونس ، وأماكن أخرى ، يجري فيها الصراع بين الحكام والدعاة .

وازداد هذا الانشقاق والانفصال بخوض بعض الجماعات الإسلامية الانتخابات ولجوئها إلى المعارضة السياسية رغم الخلافات الشديدة بين مبادئها ومبادئ هذه الأحزاب ، واتخاذها مواقف سياسية ودعائية فأصبح الدين بذلك نظرية سياسية .

لقد تطور هذا الوضع المتناقض المشتبك في كثير من الدول الإسلامية ، وإذا دققنا النظر وجدنا أن هذا الوضع يرجع إلى أكثر من عوامل دينية أو عقدية ، ويبدو كأن الحكام المسلمين ينظرون إلى رجال الحركة الإسلامية كزعماء المعارضة السياسية ، أو كمدبري الثورة ضد النظام القائم ، سواء كان هذا النظام ديمقراطياً ومنتخبأ ، أو كان دكتاتورياً ، أو ملكياً ، وينظرون إلى رجال الحركة كزعماء سياسيين يسعون إلى حرمانهم من كراسיהם واجتثاث أصولهم .

إن الحل الوحيد لهذا الوضع يمكن في صلاحية الدعاة لاستغلال أي انتماء إسلامي ، أو ميل إلى الإسلام في الطبقات التي تشغل المناصب العليا ، وتحمل مقايد الحكم ، والتأثير عليها ذهنياً ، وفكرياً وعاطفياً وقومياً ، وإنقاعها بأنهم لا يريدون إلا إقامة الحق والعدل ، وإصلاح الأوضاع ، وأن

يخذلوا طريق كسب الشعبيه لهم ، والرأي العام ، وثقة الجماهير . لقد أفسدت المجاورة بين الحركة الإسلامية ورجال الحكم والتناقض والصراع بين العاملين عمل الدعوة الإسلامية كثيراً ، وقد فشلت هذه الاستراتيجية التي اتخذها بعض مفكري الحركة الإسلامية في العصر الأخير ، أنهم وصفوا كل من لا يتضمن إلى صفوتهم طاغوتاً ، وكفروه واستباحوا دمه ، وانشغل بعض المتحمسين أو المنتمين إلى الجماعات الإسلامية بأعمال العنف والإكراه التي تعددت إلى قتل من له صلة بالنظام القائم ، أو حركة أخرى ، فيجري بذلك سفك دماء الآبرياء ، ولا تخلي من هذه الأعمال الطائشة المساجد والمدارس ، ويستهدف العلماء ورجال الأمن ، والمصلحون ، والموظفو من المخلصين والمتبعين للدين والمواظفين على واجهتهم ، واستغل المعارضون للحركة الإسلامية هذه الأعمال الطائشة التي يقوم بها بعض المتحمسين الذين ليس من اللازم أن تكون نشأتهم نشأة دينية ، أو تكون لهم صلة وثيقة بالحركة الإسلامية ، بل يكونوا متدينين فيها ، أو مغلوبين على أمرهم ، ووضعت بذلك قيود على تحركات الدعاة وفرض الحظر على كتابات كثيرة من العلماء الذين ليس لهم في الواقع صلة بمثل هذه الحركات . فكان الدين الخالص هدفاً وغريضاً للمعارضين ، يستغله أعداء الإسلام ، ولذلك يجري تطبيق العمل الديني في كثير من الدول الإسلامية . إن موقف العداء للحركة الإسلامية أسباباً كثيرة ، وعوامل عديدة ، ومن هذه العوامل موقف بعض العناصر التي تظهر انتتماءها إلى الحركة الإسلامية ، فيجب على الدعاة ، والمصلحين إعادة التفكير في موقفهم و منهمهم لكيلا تتطور المجاورة التي نشأت ليس بين الدعاة والحكومات فحسب ؛ بل بين الدعاة والمتقين بالثقافة العصرية ، وهم الذين يديرون دفة الحكم ، لا تتطور هذه المجاورة إلى حرب أهلية ، أو تدخل مباشر للدول الأجنبية .

أدب الرحلة وأنيس منصور

(رحلته إلى الهند نموذجاً)

بقلم : الدكتور محمد عفان الندوى

الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية جامعة راجورى ، ولاية جامو وكاشمير (الهند)

أنيس منصور رحلة كبيرة وكاتب رحلات متبار ، له أكثر من مائة كتاب حول موضوعات مختلفة ، لكنه هو أدب الرحلة الذي نال لدنه حظوة خاصة ، وفي مجاله بد الأقران واسْتَهُرَ بين القراء كأبرع وأبرز كاتب ، وإن كتابه " حول العالم في ٢٠٠ يوم " الذي يمثل عنوان بناحه الباهر وصيته الدائمة في تاريخ الأدب العربي الحديث عامة وفي مجال أدب الرحلات خاصة ، وصدق من قال : إنه من كتب الرحلة التي يمكن أن تقرب بجدارة إلى الرحلات العربية المهمة القديمة والحديثة ، وما يجعل الكتاب مهمًا ممتعًا للغاية أن مؤلفه قدم إلى الهند وقضى هنا أيامًا وأسابيع سجلاً خواطره وانطباعاته عنها ، ليكون أحد الرجال العرب القلائل الذين وطنوا أرض الهند ومحظوظوا فيها وتحذثروا عنها .

نبذة عن أدب الرحلة في الأدب العربي :

أدب الرحلة لون أدبي نشري قدّم ينتهي تاريخه المعروف إلى القرن السادس من الهجرة ، ومنذ ظهور أول نموذج له ظل في نمو مطرد مستمر وقام بإسهامات جليلة في المجال المعرفي والأدبي ، وبصرف النظر عن الخلاف حول كون أدب الرحلة فناً غير مستقل بذاته مثل فن الرواية والمسرحية والمقالة أو " أهم فنون الأدب العربي " ، (١) له قيمة علمية وأدبية كبيرة لا يمكن التغاضي أو الاستغناء عنها ، إذ هو جمعه في طياته علوماً شتى يساعد في دراسة ومعرفة

شعب من الشعوب أو أمّة من الأمم أو ثقافة من الثقافات في فترة معينة من التاريخ ، كما يمتع القارئ بأسلوبه القصصي الجميل الشيق الذي يتميز أكثر الأحيان بالحوار والقصص وأساطير يمتع فنية جمة ، يقول الدكتور حسني محمود حسين مشيراً إلى الأهمية التي يحملها أدب الرحلة : " إذا قلنا إن فناً من

(٢) أدب الرحلة عند العرب ، حسي محمود حسين ، ص ٦٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

(١) الرحلات ، شرقى ضيف ، ص ٦ .

مع تقدم الحضارة ونضج الثقافة ، وكان جزء من كتب السير والمغازي ، ولكن منذ ظهور أول نموذج لأدب الرحلة إلى عصرنا الحديث هو في اطراد وانتشار بصورة مستمرة ، وتاريخه تاريخ الفنون الأخرى في العلو والهبوط عبر القرون ، شاهد النمو والازدهار أيام كانت الثقافة العربية الإسلامية في عزها وشبابها ، وعاني من الضحالة والاضمحلال عند ما منيت بالضعف والهبوط ، ثم ناله الابتعاث بعد النهضة العلمية والأدبية العربية الحديثة .

"المكتبة العربية تؤكد أنه ظل متداً ومستمراً حتى عصرنا الحديث ، بل حتى أيامنا هذه ، لقد ازدهر فعلاً ، وشهد تطوراً في الموضوع ، والرؤى والمدف منه ، واللغة التي يكتب بها والشكل الفني الذي يقدم من خلاله ، إذ أن الملاحظ أن عدداً كبيراً جداً من الكتاب المعاصرين ، يحرصون بين لحظة وأخرى ، على أن يدونوا رحلاتهم ومشاهدتهم هنا وهناك وهنالك ، وذلك في كتب مستقلة لها طابعها الخاص ، بل إننا نلاحظ أن بعض أدبائنا المعاصرين الذين عرفهم القارئ كتاباً للرواية أو للقصة القصيرة أو للمسرح أو للمقال قد حصلوا على جوائز الدولة ، لا بسبب إبداعهم في هذه الفنون الأدبية وإنما لتفوقهم في أدب الرحلات" (٥) .

وحسب علمتنا أن أول من وضع الأساس لهذا الفن هو الفقيه أبو بكر محمد ابن العربي (٤٦٨ - ٥٤٣ هـ / ١٠٧٦ - ١٤٨ م) ، غير أن وصف رحلته مفقود ، وقد نقل عنه ابن خلدون والمقربي ، وبعد نصف قرن منه جاء ابن جبير ليواصل هذا الاتجاه في كتابة الرحلة بصياغة أدبية عالية ، حتى ليتمكن القول بأن كتب الرحلات تبدأ من هذا العهد برحلة ابن جبير ، وتلاه فيما بعد بحوالي قرنين ابن بطوطه ليقدم في ظروف خاصة نطاً جديداً من الرحلات يختلف عن سابقه ابن جبير ، وهكذا شهدت القرون التالية لهذين الرحاليين الكبارين كثيراً من الرحالة الذين أغنوا الأدب العربي وبعض العلوم العربية الأخرى بما كتبوا في رحلاتهم .

وهنا نذكر على سبيل المثل لا الحصر بعض الرحاليين الكبار الذين أسهموا في تطوير أدب الرحلة وتركوا بكتاباتهم في هذا المجال بصمات قوية

(٥) مشارك كتب الرحلة قديماً وحديثاً ، دكتور سيد حامد النساج ، ص/١٣ .

١٤٣٤ هـ / ٥٨ ج - ١٠١

٧٦/٧٦ م - ٢٠١٣ مايو

على ذاكرة التاريخ ووكان الدارسين عبر العصور ، من هؤلاء ابن جبير وابن بطوطة وأبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي وعبد اللطيف البغدادي وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التيجاني وابن خلدون والبيروني ورفاعة رافع الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق وأحمد محمد حسين وأمين الريحاوي ومحمد تيمور حسين فوزي ومصطفى محمود ومحمود السعدني وصبرى موسى وخبير شلي .

نبذة عن إسهامات منصور في أدب الرحلة :

أما مساهمات آنيس منصور في أدب الرحلة فهي حلقة وقمة ، ومع أنه قد ضرب بسهم وافر في فنون الكلام المختلفة من صحافة وقصة ومسرحية وترجمة وكتابة السيرة إلا أنه اشتهر بين القراء ككاتب رحلات خبير بارع ، ومع أن جميع فصوله ومقالاته حسب محمود تيمور ليست إلا رحلات متواصلة ، سواء أكانت في آفاق الأرض المحدودة أم كانت في العالم الفكرية التي ليس لها من حدود (٦) ، له كتب عديدة تختص أدب الرحلات وحدها ، ومن تلك الكتب : " حول العالم في ٢٠٠ يوم " ، و " غريب في بلاد غريبة " ، و " بلاد الله خلق الله " ، و " أطيب تحياتي من موسكو " ، و " اليمن ذلك المحظوظ " ، و " أيام في الجزائر البيضاء " ، و " أعجب الرحلات في التاريخ " ، و " أنت في اليابان " ، و " أوراق على شجر " ، و " لعنة الفراعنة " ، يقول الدكتور سيد حامد النساج مشيراً إلى دور وأسلوب آنيس منصور في أدب الرحلات : " الكاتب المصري الذي جعل الرحلة همه بالليل والنهر ، وتحقق عن طريقها انتصارات صحفية ، ونال بسببها جائزة الدولة التشجيعية ، هو آنيس منصور ، ألف عدداً من الكتب تدور حول رحلاته الكثيرة ، وقدم من خلالها معلومات ، وشخصيات ، وطرائف ، متنوعة ، أداته في ذلك لغة سريعة خاطفة ، وجمل قصيرة جداً ، وعبارات خفيفة لا عمّق فيها ، ولا تحليل يرهقها ، ومع أنه كتب كثيراً من المقالات والقصص والدراسات والمسرحيات والترجمات الذاتية ، فإنه شهر عند الجمهور القارئ محلياً وعربياً ، بأنه كاتب رحلات ، وصاحب خبرة في نقلها" (٧) .

(٦) حول العالم في ٢٠٠ يوم ، آنيس منصور ، ص/٢٦ .

(٧) مشارك كتب الرحلة قديماً وحديثاً ، دكتور سيد حامد النساج ، ص/١١٣ .

مايو ويونيو ٢٠١٣ م

٧٧/٧٧

١٤٣٤ هـ / ٥٨ رب وشعبان ١٤٣٤ هـ

١٠١

طاف منصور بأكثر بلاد العالم المعمور ومعه كاميرا المجهز بالفطنة الناقدة والرهافة الماضية والثقافة الواسعة العميقه ولللغة الخلوة المائسة المناسبة الرائقه الرفقاء ، كل صورة يلتقطها تحول إلى لوحة جميلة منسقة الألوان منسجمة الأضواء والظلال ، يتحول القارئ معه وهو جالس أو مستريح أو مستلق على سريره آسيا وأفريقيا وأوروبا ويتعرف على أنماط من الناس من كتاب وشعراء وزعماء وساسة ومفكرين وألوان من الآثار والمعالم الحضارية والثقافية القديمة والحديثة وأفانين من الطقوس والتقاليد والأساطير والخرافات ، فهو طوراً معه في مجاهل كونغو واليمن والجزائر وتارة في شوارع ودروب روسيا والهند والصين واليابان وفرنسا والإنجليز وأمريكا ، يجد إذا كان جاداً ويتسنم إذا ابتسنم ويقهقه إذا قهقه ويُسكي إذا استبكي ويُكره إذا اشترى ويغضب إذا استفز ، هو معه دائماً ، في حله وترحاله : "أبسط ما يمكن أن يقال عن رحلات منصور إنه يأخذك في عربة صغيرة .. أشبه بتلك التي اخترعهاه ، ج ، ويلز (آلة الزمن) التي يستطيع من خلالها أن ينتقل عبر الزمان .. الماضي والحاضر والمستقبل .. وينقلب في لحظة بين صفيح القطب الشمالي وحرارة خط الاستواء بين سراوات جزيرة تاهيتي .. وبين مجاهل الكونغو .. بين رواع الأدب وخداع السياسة .. بين الأسطورة والحقيقة .. كل ذلك في كوكب في عجيب" (٨).

حول العالم في ٢٠٠ يوم :

ظهر الكتاب "حول العالم في ٢٠٠ يوم" عام ١٩٦٣ م فتناولته الأيدي بلهف وشوق شديدين ونفتدت له طبعات عديدة في مدة قليلة وظهرت فصول منه مترجمة إلى الإنجلizية والفرنسية والإيطالية والألمانية وترجمة كاملة باللغة الصينية (٩) حتى أعلنت منظمة اليونسكو بكونه أكثر الكتب انتشاراً وشعبية في العالم العربي (١٠) كما قدر له أن يكون أول كتاب يفوز بجائزة الدولة في (أدب) الرحلات (١١).

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥ ، ٢٦ . (١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(١٤) صدرت له اثنتان وعشرون طبعة من دور النشر الأخرى مثل دار القلم ودار المعارف والذك المصرى الحديث في فترات مختلفة.

(١٥) ملاحظة : هناك خلاف في عدد الأيام الذي استغرقه الرحلة ، في بينما كتب حسين فوزي إن

الرحلة استغرقت ٢٢٣ يوماً ، كتب الناشر ٢٢٨ يوماً به ما تشم المصادر الأخرى أنها استغرقت ٢٢٥

(٨) أنيس منصور ذلك المجهول ، محمود فوزي ، ص ٦٦ .

(٩) حول العالم في ٢٠٠ يوم ، أنيس منصور ، ص ١٤ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ١١ . (١١) حول العالم في ٢٠٠ يوم ، أنيس منصور ، ص ١٣ .

وكان الكتاب من عامة القراء الخفاؤ البالغة ، نال من كبار الكتاب والأدباء أمثال طه حسين ومحمود تيمور وتوفيق الحكيم وكامل شناوي تقديرًا كبيرًا ، بل إنه يتحمل بكلمات جميلة ضافية من طه حسين ومحمود تيمور .

يرى محمود تيمور أن الأستاذ أنيس منصور يتمتع بجميع المؤهلات التي تستلزم كاتباً ناجحاً للرحلات ، كما يرى "حول العالم في مائتي يوم" من حير ما انتجه ، قد كتب في أسلوب كثير التوابل وتنجلى فيه روح الظرف والمنادمة كما توجد فيه أوصاف شائقة للمشاهدات والانطباعات" (١٢) .

أما طه حسين فانطباعاته لا تكاد تختلف من تيمور ، فهو يجده كتاباً ممتعاً حقاً ، كما يعتبره رحلة رائعة يمكن أن تقرن إلى الرحلات العربية القديمة ، يقول : "ومع أنه من الكتب الطوال جداً فميزته الكبرى هي أنك حين تقرؤه لا تحتاج إلى راحة وإنما تود لو تستطيع أن تمضي فيه حتى تبلغ آخره في مجلس واحد" (١٣) .

ظهر الكتاب "حول العالم في ٢٠٠ يوم" في عام ١٩٦٣ م ، وتشتمل النسخة التي لدى وهي الطبعة الخامسة والعشرون من دار الشروق (١٤) على ست مائة وأربع صفحات بما فيه ثلاثة مقدمات من الكاتب كتبها للطبعة الأولى والثانية والطبعة الرابعة والعشرين في نوفمبر ١٩٦٢ م وأغسطس ١٩٦٤ م و٢٠٠٠ م بالترتيب ومقدمة للدكتور طه حسين كتبها للطبعة الثالثة في أغسطس ١٩٦٦ م وأخرى لمحمود تيمور كتبها للطبعة التاسعة في يونيو ١٩٧٢ م ، تبدأ الرحلة من الصفحة التاسعة والأربعين وتنتهي إلى الصفحة الرابعة بعد ست مائة ، وفي هذه الصفحاتخمس مائة وخمس وخمسين ، يحكي قصة ما شاهده وعاينه وما عانى منه جسمه وما أدرك به عقله ووعيه وما أحس به قلبه وشعر به روحه في دورانه حول العالم في ٢٢٣ أو ٢٢٨ يوم (١٥) كما قدر له أن يكون أول كتاب يفوز بجائزة الدولة في (أدب) الرحلات (١١) .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٥ ، ٢٦ . (١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

(١٤) صدرت له اثنتان وعشرون طبعة من دور النشر الأخرى مثل دار القلم ودار المعارف والذك المصرى الحديث في فترات مختلفة.

(١٥) ملاحظة : هناك خلاف في عدد الأيام الذي استغرقه الرحلة ، في بينما كتب حسين فوزي إن

الرحلة استغرقت ٢٢٣ يوماً ، كتب الناشر ٢٢٨ يوماً به ما تشم المصادر الأخرى أنها استغرقت ٢٢٥

أدب الرحلة وأنيس منصور (رحلته إلى الهند نموذجاً)

فيه رحاله وغادر مصر ومتى وصل إلى الهند وفي أي تاريخ محمد كان في ممبئ أو دلهي أو ديرادون أو متى غادر الهند إلى سيلان ومنها إلى البلاد الأخرى ، بينما يثبت في مكان تحت عنوان "قبلة في النهاية ! "اليوم أول يناير سنة ١٩٦٠ وكل الناس ينصحوني بالبقاء بضعة أيام" (١٩) وربما لم ير المؤلف ضرورة ذلك ، لأنه ليس كتاب رحلة في المعنى التقليدي القديم فقط ، بل هو يجمع إلى جانب الرحلة الأدب والفن والفلسفة (٢٠) ولا حاجة للأدب والفن والفلسفة أن تبقى رهينة الزمان والمكان ، هي في طبيعتها حرفة تحب الحرية والانطلاق .

خلاصة الكلام هي أن الكتاب يتمتع بجميع العناصر التي تضفي على نوع أدبي طبيعة الخلود ، وهذا هو سر إعجاب الأدباء والقراء به إلى الآن دون أن ينتقض منه الزمان شيئاً ، فلم يتم عرض الحقائق عرضاً بارداً جافاً بل العواطف والأحساس والأخيلة تلعب دورها في إثراء الكتاب وإضفاء الجمال والرواء عليه وتشويق القارئ إلى المزيد ، أما الأسلوب فهو نسمة باردة في صحراء قاسية .

أنيس منصور في الهند :

لا يمكن دراسة الكتاب دراسة مستوعبة في هذا المقال الوجيز ولذا اكتفى بالحديث عن رحلته إلى الهند نموذجاً أحاول من خلاله إلقاء الضوء على القيمتين الأساسيةتين اللازم توافرهما في أدب الرحلة وهما القيمة الفكرية والقيمة الفنية .

قدم منصور إلى الهند وهي تمر بظروف سياسية عصبية ، وكان غرضه من الرحلة إجراء تحقيق صحفي عن ولاية كيرالا حيث كان صراع حاد دائراً بين الحكومة المركزية التي كان يقودها حزب المؤتمر والحكومة الإقليمية التي كان يتزعمها الحزب الشيوعي (٢١) فلم تكن مهمة منصور إلا سياسية ولم يكن ينوي إلا تغطية الأزمة ولكن شاء الله أن يطول مقامه في الهند وحديثه عنها .

رحم الله أنيس منصور ، إن رحلته إلى الهند وإقامته فيها لم تكن مؤفقة ، هذا ما يظهر بعد دراسة متأنية للفصل الخاص بالهند من كتابه " حول العالم في ٢٠٠ يوم " ، إنه سجل طويل للشكوى والتأفق ، شكوى من الروائح

حلولاً بالهند - المقطة الأولى في طريق الرحلة الطويلة المتعددة إلى سبعة أشهر وعشراً تقريباً - ومروراً بسيلان وسنغافورة وأستراليا والفلبين وهو نجKonج واليابان وجزر هاواي وأمريكا ، وروما ، المقطة الأخيرة ، كي يعود بعدها الغائب إلى وطنه .

ظهرت فصول الكتاب أولاً في صورة مقالات في الصحف المصرية المختلفة ثم جمعت في كتاب ، فقد كان منصور يعمل آنذاك ، أي لدى دوراته حول العالم ، لصحيفة "أخبار اليوم" ، وكانت زيارته للهند بصفته مراسلاً للصحيفة المذكورة لتغطية الأزمة السياسية الناشئة بولاية كيرالا عام ١٩٥٩ م ، كما يصرح بذلك في مقابلته مع نامبودري باد وفي مقدمة الكتاب إذ يقول : كنت أكتب ليلاً ونهاراً ، وكانت أبعث بمقالاتي لأنباء اليوم والأخبار وآخر ساعة والجبل" (١٦) .

وبعد الانتهاء من الرحلة جمع المقالات من الصحف ورتبتها في صورة كتاب بعد أن حذف كثيراً منها التي كانت من النوع السياسي (١٧) ، وكما سبق أن ذكرنا أن الطبعة الأولى صدرت في عام ١٩٦٣ أي بعد سنتين من الرحلة الحقيقية ، ولا نعرف كثيراً عن صورة الطبعة الأولى ويدو أنها لم تكن مرتبة ترتيباً جميلاً ، في الطبعة الثانية جلس المؤلف مرة أخرى ، وراجع الفصول وربط بعضها بعض من جديد" (١٨) .

ثم الكتاب ليس في صورة مذكرات يلتزم فيها الكاتب بقيد اليوم والشهر والسنة بل هو في صورة أي كتاب آخر ، وهذا على هو المؤلف إن شاء ذكر التاريخ أو لم يذكر ، فعلى سبيل المثال أنه لا يذكر اليوم الذي شد

* يوماً ، ولعل الأصح هو ما يشير إليه المؤلف في مقال بصحيفة الأهرام إن رحلته استغرقت ٢٢٨ يوماً ، يقول منصور : "لم يكن في بيتي أن أدور حول العالم في ٢٢٨ يوماً ، وإنما الهدف من الرحلة كان البحث في واقعة غريبة ، وهي أن الهند الديمقراطية قد ولدت حكومة شيوعية في ولاية كيرلا في جنوب الهند" ، الأهرام ، ٢٦ / فبراير ، العدد ٤٣٥٦ ، ٤٣٥٦ ، موقع الأهرام .
(١٦) حول العالم في ٢٠٠ يوم ، أنيس منصور ، ص ٣٧ وأيضاً ١١٦ .
(١٧) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .

(١٨) أنيس منصور ذلك المهمول ، محمود فوزي ، ص ٦١ .

١٠/ ج ٥٨/ رجب ١٤٣٤

مايو ٢٠١٣ م

٨٠/٨٠

(١٩) حول العالم في ٢٠٠ يوم ، أنيس منصور ، ص ٥٩٦ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

(٢١) حول العالم في ٢٠٠ يوم ، أنيس منصور ، ص ٣٨٠ .

٨١/٨١

٤١٤٣٤ - ج ٥٨/ رجب وشعبان

مايو ويونيو ٢٠١٢ م

والألوان المرئية وغير المرئية ، فمنذ أن حل عطار ممبيء إلى أن غادر سيلان ظل قلقا متقلبا على فراش الخوف من الزواحف والحشرات والهوام السامة تحت ناموسية الجو القائم الحائق ، ولم يلح له في هذا الظلام ذي الأحلام المرعبة والكوابيس المطاردة إلا خط فضي واحد آنس قلبه وأنار زوايا روحه ، وأطلق رتنه للهواء المنعش ، وأثار مشاعره وأحساسه ، وفتق شاعريته ، وأطلق قيثارته ، هو صباح في ديرادون ندي شدي قد غسله المطر وظهره ليلاً ، أما دلهي ومبني وكيرالا ، فبمعالمها وآثارها وثقافتها وأسواقها وأفلامها وأهارها وصفافها وغاباتها وحضارتها وجمالتها وروعتها لا تكاد تحرك ساكنه الأدبي ولا تثير مشاعره ولا تدفعه إلى التغنى والشدو ، ففي ممبيء يمر مدهوشًا بماضي البان مروراً سريعاً ، ولا يتزrette إلا قليلاً لدى الرجل الهندي الرشيق المشوق القوام والمرأة الهندية الابسة الساري ذات الشعر الفاحم ، وفي دلهي لا يحظى بعناته إلا "نان والتندوري" فرحة كاملة .. مصبوغة باللون الأحمر ، أحمر فاقع ، وفي كيرالا لا يستهويه إلا الدوبي .. وتكاد تتلخص رحلته الهندية في هذه الكلمات لمنصور : "أكلك نار .. شربك نار .. بعذرك نار .. قربك نار !! ولا يمكن أن يفهم في القاهرة معنى نار ، إلا إذا سافر إلى الهند ، النار حقيقة .. تخرج من أنفك وتتدخل في صدرك .. الطعام كله شطة حمراء ، وكما يوجد هواء سائل ، توجد أيضاً نار سائلة توضح في كل شيء ، النار في يدك وفي فمك ، وفي معدتك .. نار يا حبيبي نار" (٢٦) .

ولكن هذا الموقف الذي وقفه منه منصور كان فيه كثير من التهويل والمغالاة والتعسف ، وقد استدرك فيما بعد ما زال عن قلمه وتمى أن يعود إلى الهند التي .. فيها كل شيء .. كل الألوان وكل الأديان وكل الطبقات .. ومئات اللغات وألوف اللهجات" (٢٧) ويعيش فيها في حماس الذين يعرفون عن الهند وعاشوا فيها مدة أطول وتجاوبيوا معها أكثر" (٢٨) إنه لم ينس الهند أبداً ، واحترامها كان دائمًا في قلبه وظل ذكرياتها تعاوده بين حين وآخر (٢٩) ، بل

(٢٦) المصدر نفسه ، ص / ١٤٧ .

(٢٧) المصدر نفسه ، ص / ١٣٠ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ص / ٢٨٨ .

(٢٩) ففي مقال في عموده الشهير بالأهرام يتذكر أيامه حلوة المرأة في الهند ويعيد افتتاح الديمقراطية *

٤١٤٣٤ ج ٥٨ - ١٠

زار الهند مرة أخرى واستذكر موقفه الماضي و "استكره" وصرح برأيه في مقال في جريدة الشرق الأوسط بهذه الكلمات : "سألوني : ما الذي تريد أن تراه في كيرالا ، قلت : كل ما رأيت قبل ذلك منذ أكثر من أربعين عاماً ، في يومها كنت أراها بعين واليوم سوف أراها بعين وتحارب طويلاً في السفر في القارات الخمس" (٢٦) .

ويبدو أن لشابه وسورته وكذلك الوقت الذي وقع فيه منصور هنا كان لهما دور كبير في تلوين عواطفه وانطباعاته إزاء الهند بلون خاص ، فالوقت الذي وقع أنيس منصور في الهند ، مختاراً أو مضطراً ، وقت غير مناسب لسائح أجنبي ، فإنه يبدو بعد عملية الزيادة والنقصان لمدة رحلته حول العالم وأيضاً من تاريخ حل وزارة ناميبرد يصاد أنه كان هنا في يوليو (٢٧) ، ويوليو موسم الأمطار والرطوبة ، وأحسب أنه لو كان جاء في فبراير أو مارس لما ساورته كل هذه المخاوف من الأمطار والبعوضات ، غير أن هذا لا يعني أبداً أنه لا يجد شيئاً مما يعجبه في الهند .. لا .. فهو يقدر ويحمل الشخصيات الهندية العظيمة ويشتغل على الهند سماحتهم ومحافظتهم على النظام كما يشتغل على الصحف الهندية لمستواها الرفيع في عرض القضايا الوطنية والعالمية والأدبية وي تعرض لكثير من مظاهر الحياة الهندية بالدعة والتعاطف .

كانت الهند المحطة الأولى في رحلة منصور حول العالم ، ومع أنه لا يوجد في حدثه عن الهند ما يصرح ويحدد مدة إقامته فيها ولكن يظهر من مقابلته مع ناميبرد يصاد أنه قضى هنا شهراً تقريباً (٢٨) ، نازلاً بممبيء ومسافراً

* الهندية للتجربة الشيوعية في ولاية كيرالا في الكلمات التالية : لم يكن في بيتي أن أدور حول العالم في ٢٢٨ يوماً ، وإنما الهدف من الرحلة كان البحث في واقعة عربية ، وهي أن الهند الديمقراطية قد ولدت حكومة شيوعية في ولاية كيرلا في جنوب الهند ، وهذه الولاية الصغيرة هي أكثر الولايات ثقافة وفقها في عدد الأميين ، وأكثر الهندو في الخليج من أبناء كيرلا ، وسافرت إلى ترفيدروم وقابلت رئيس الوزراء وزعيم الحزب الشيوعي ناميبرد يصاد .. ٢٦/فبراير ، ٢٠٠٦ ، العدد ٤٣٨٤٦ ، موقع صحيفة الأهرام ..

(٢٦) المصدر نفسه ، ص / ٢٦ .

(٢٧) تم حل المجلس التشريعي لولاية كيرلا في ٣١ يوليو ١٩٥٩ .

(٢٨) حول العالم في ٢٠٠ يوم ، أنيس منصور ، ص / ١١٦ .

الذي أشرق له بكل سناء وجماله وتسمى له ابتسامة حلوة صادقة ، هنا ريشة منصور في قمة عملها ونشاطها ، كأنها تنفث السحر ، وأننا أكتفي هنا بنقل نتف منها : "لأول مرة أشم هواء نقياً .. ولأول مرة أملاً صدري .. واليوم فقط أشم هواء حقيقياً .. هواء لا تمتسه أحجزة التكيف من الشوارع .. هواء ليس نهاية الناس .. ولا فضلة خيرهم .. النافذة مفتوحة أمامي .. الطبيعة كلها رائفة جميلة مغسلة .. المطر جعلها مصونة مكونة في ورق سلوفان .. أو كأنها تعطت بالحرير الهندي الشفاف ، كل شيء له لون ثابت صادق لا يتغير .. كل شيء صدق ، لا سياسية ، لا أديان ، لا لغات ، لا جنسيات .. كل شيء يحولك إلى شاعر ، ويجعل قلمك فرشاة .. يجعل لك ألف رئة وألف أذن ، ويغيرك بأن تمد يدك لتلمس ما تراه كأنه قطعة من الحلوى .. وتشعر أنك أمام مائدة ضخمة وأنك وحدك في صدر المائدة .. وأنك الداعي وأنك المدعو .. وأنك صاحب البيت والضيف .. وتبداً الشمس تتحسس طريقها وراء السحاب .. والسحاب هو "رغوة" الصابون التي غسلت بها الملائكة السماء والأرض !^(٢٩) .

وفي الختام نود أن نقول : إنه سواء اتفقنا معه أو لم نتفق على قليل أو كثير من ملاحظاته وانطباعاته وآرائه ، ومع أنها نحس شيئاً من الفراغ عند ما نقارن بين ملاحظات منصور ومشاهدات أمينة السعيد بالنسبة للهند وخاصة بعد ما بحث الأخيرة جادة كل الجد في معالجة كل موضوع تخوض فيه سواء كانت علاقته بالظروف الاجتماعية أو السياسية - صورة المرأة مشكلة الأرامل والزواج في صغر السن ، فنون الرقص والغناء ، الثقافة ، الاقتصاد ، الصراع بين أتباع الديانات المختلفة ، المؤتمر الهندي ، الجامعة الإسلامية - فمما لا شك فيه أن القارئ يشعر لدى قراءة الكتاب بسحر وأسر لا فكاك منه ، وسر ذلك أسلوبه الناصع المائس الهاهف الذي يجمع بين لذة الجد ولذعة المزبل ومتعة الحقائق واحتلال الأسطoir .

(٢٩) حول العالم في ٢٠٠ يوم ، أنيس منصور ، ص/٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣ .

منه إلى دلهي ومنه إلى ديرادون ثم عائداً منه إلى كيرالا فمعادراً إلى سيلان ، تستغرق أحاديث منصور عن الهند حوالي مائة وثلاثين صفحات ، وهي تحت سترة عناوين موحية مختلفة : كل شيء كثير ! ، باسم الله ، صاحب القداسة رفض ، إله في انتظاري ، حفاة تقديمون جداً وتأملات هندية ، تحدث تحت العنوان الأول عن إقامته في مدينة ممبني والثاني عن إقامته بدلهي والثالث والرابع عن إقامته بديرادون و مقابلته دلائي لاما ، والخامس عن كيرالا و مقابلته مع نامبودرياد ، وتحت العنوان الأخير قدم خلاصة مشاهداته وتجاربه في الهند .

ولو تسألهنا كيف تمدنا رحلة منصور بالقيمة المعرفية ، قلنا إن هناك مئات الملاحظات والمعلومات التي تطلعنا على مختلف جوانب الحياة الهندية من سياسة وثقافة واجتماع ، فنحن نعرف حلال دراسة الكتاب عن وضع الديمقراتية في الهند والخلاف السياسي حول الحدود الهندية - الصينية وأزمة التبت وجوء دلائي لاما ، والصراع السياسي بين الأحزاب السياسية الهندية المختلفة كما نعرف عن المكتبات والصحف والوضع الثقافي العام وصورة المرأة الهندية والنظام الطبقي وتقاليد الشعب الهندي المختلفة في الأكل والشرب واللباس والزواج والعبادة والأعياد وغيرها ، قد تحدث بشيء من التفصيل عن الأزمة السياسية بين الحكومة المركزية التي كان يقودها حزب المؤتمر في زعامة جواهر لال نهرو والحكومة الإقليمية التي كان يتزعمها الحزب الشيوعي في قيادة إي. إيم. نامبودرياد بسبب بعض السياسات الاجتماعية والاقتصادية التي تبنتها الحكومة الإقليمية وكانت النتيجة إقالة حكومة نامبودرياد بتدخل من المركز ، وكان ذلك حدثاً سياسياً كبيراً قد حضر لتغطيته الصحفيون من أنحاء العالم كله ، كذلك نعرف عن بعض الشخصيات الهندية وغير الهندية المعاصرة ، إلى جانب ذلك يعطينا الكتاب معلومات عن "البان" و"الدوبي" و"الساري" و"نان وتندورى" ووجبات جنوب الهند وطريقة احتفال المسلمين الهندو "بعد" محرم ، وثقافة المرأة ومشاركتها في الحالات السياسية والاجتماعية .

أما كيف هي تمدنا من الناحية الفنية ، فالكتاب مليء بالقصص والأساطير والأخبار والتواتر والتكت و كلها معروضة بأسلوب رائع مشوق ولغة حلوة ، وخبر مثل على ذلك وصفه الرائع للصبح "المصوري" بديرادون ع ١٠١ - ج ٥٨/٥٨ رجب ١٤٣٤ هـ ٨٤/٨٤

ويقلل من قيمة الدنيا وزخرفها ، ويحكي حكايات الصالحين وأعمالهم وعبادتهم^(١) ، كان يبقى أولاده بعيداً من ملوثات الدنيا ويدركهم بالأخرة ، فكان بيته أول مدرسة تعلم فيها أهم دروسه في الحياة ، وهذه هي الأسباب التي جعلته يختار الكتب بدلاً من أصحابه ، فتمنى عقله على مخافة الله وذكره ، يقول ابنه الدكتور حلال أمين : "يصف أحمد أمين قوة عاطفته الدينية في طفولته بقوله ... كنت أقوم الليل وأهتجج ، وتنحدر الدموع من عيني أحياناً في ابتهالي ومن شدة فكري في الله ، رأيته في منامي مرة على شكل نور يغمر الغرفة ويخاطبني قائلاً : ... أطلب ما أذلك به على قدرتي ، فطلبت أن يعمل من قطعة حديد سكيناً ، ومن قطعة خشب شباكاً ، فعل فآمنت بقدرته وحكيت المنام لأهلي ففرحوا به فرحاً عظيماً وازدادوا في محبتي"^(٢) ، حتى في شبابه إذا كان في مقهى حاول أن ينتقل إلى أقرب مسجد ، وإن لم يكن مسجداً ذهب إلى أي بناء بالقرب ويسأل البواب أن يحضر له الخصير حتى يصل إلى عليه بالقرب من الباب وإذا لم يجد فكان يتضيق أي مكان مستر ويخلع جبهه ويفرشها ويصل إلى عليها ثم ينظفها ويلبسها ، هذه هي الأسباب التي جعلته أكثر تديناً خاصة أثناء دراسته بمدرسة القضاء الشرعي وهو من طلبتها ، حتى إنهم كانوا يسمونه (السيني) بينما يسمون الآخرين الفيلسوف أو الزنديق وغيره . اهتم والده منذ طفولته بحفظ القرآن فدفعه بمسجد إلى جوار منزله ثم إلى مدرسة ابتدائية (مدرسة والدة العباس) تعلم فيها اللغة العربية وبعدها أدخله والده في الأزهر لتعليم التفسير والحديث وال نحو والفقه والبلاغة وشيئاً من الحساب والجغرافيا ، وفي هذه الأثناء حضر إلى محاضرات الإمام محمد عبده وكان متأثراً به جداً يذكر تأثيره في كتابه حياتي بالتفصيل ، وبعد فراغه من الأزهر بدأ بالتدريس في إحدى مدارس "طنطا" وبعد رجوعه إلى القاهرة ودخل في مدرسة دار العلوم ، ثم فاز على عهدة التدريس في مدرسة راغب باشا في الإسكندرية ، وفي نفس الأثناء بدأ يكتب مقالات عن الموضوعات الدينية المختلفة وغيرها ، وفي ١٩١٣م قرر قاضياً في الوزارة الخارجية ، ثم فاز بعهدة المدرس في مدرسة القضاء ، ومن هنا بدأ بإخراج كتبه القيمة . زار أحمد أمين مختلف المماليك شرقاً وغرباً وكان يكتب انطباعاته في مقالاته المقبولة حول مختلف الموضوعات ، أكثر مؤلفات ومقالات الدكتور

العاطفة الدينية عند أحمد أمين

بقلم : رفية عظيم الله

طالبة البحث ، بجامعة إله آباد الهند

منح الله تعالى الجيل الجديد بمشيئة الصفات المهمة التي يجعلهم رواد الفكر والعلم والأدب والسياسة ، ظهر منهم مصطفى لطفي المنفلوطى ، طه حسين ، مصطفى صادق الرافعى وغيرهم من الكتاب البارعين ، ومن هؤلاء الكتاب الكاتب الموسوعي أحمد أمين ، والموضوع الذي يخصني هو العاطفة الدينية عند أحمد أمين .

يعتبر الأستاذ أحمد أمين بين الأدباء والمفكرين في الدرجة العليا من الأدب ، لأنه أدخل العناصر الإسلامية في مؤلفاته ، نقدر أن نقول : إن شخصيته تترك بالعاطفة الدينية الغالية ، ولا نظن أحداً من قبل اجتمع لديه هذه الخصلة لهذا الحد ، وإن من المستحيل على من يقرأ الأستاذ أحمد أمين أن يشك في عمق إيمانه وصدق إسلامه .

لم تقتصر مشاركات أحمد أمين الإسلامية على التعرض للموضوعات الإسلامية الخاصة ، تأليفاً وتحقيقاً ، وإنما سبق تعرضه لتلك الموضوعات عنابة باللغة الإنجليزية ، بعنوان "Islam and Civilization" .

قد ارتبط أحمد أمين بالإتحاد الإسلامي النقي منذ طفولته ، فنهل من المتابع الإسلامية الصافية فضلاً عن نشأته في أسرة علمية ودينية ، وقد أدرك منذ ذلك الوقت أن الإسلام هو النطقة الأساسية التي تكونت منها العلوم .

قبل أن ناقش عن إسلاميات أحمد أمين لا بد لنا أن نلقي نظرة سريعة على البيئة التي نشأ فيها هذا الكاتب العظيم والأديب الباهر ، ولد أحمد أمين في أسرة فلاحية مصرية في القاهرة عام ١٨٨٦م نشأ في هذا الجو العطر ، تفتحت عيناه في رائحة دينية على قراءة القرآن الكريم الذي كان يتلوه أبوه صباحاً ومساءً كما يذكر في كتابه "حياتي" ، "ويغمر البيت الشعور الديني ، فأبي يؤدي الصلوات الخمس لأوقاتها .. ويكثر من قراءة القرآن الكريم ، ويصحو من الفجر ويكثر من قراءة التفسير والحديث ويكثر من ذكر الموت

تشتمل على المواد الدينية والإسلامية ، وصادف الأستاذ أشخاصاً متدينين
وتتأثر بهم كثيراً ، وهذا انعكس هذه السمة في كتاباته .
نذكر بعض مؤلفات أحمد أمين :

فجر الإسلام ، ضحى الإسلام ، ظهر الإسلام :

اشتهر الأستاذ أحمد أمين بين الناس على ما كتبه من تاريخ الحياة
العقلية في سلسلته عن فجر الإسلام وضحاه وظهره ، فأعجب الناس بمنهج
بحثه وأسلوبه السهل فبدأ كتابة تاريخ الحياة العقلية للأمة الإسلامية ، يقال :
إن أحداً لم ينج من قبل هذا النحو ، يقول الدكتور رجب البيومي ، "كان
أحمد أمين يحمل مصباحاً في طريق دامس ، أنار كثيراً من جوانبه ، ومهد السير
ملن سلكه" (٣) ، قسم الدكتور هذه الكتب إلى أبواب ذات فصول متعددة ،
وتعود هذه الكتب من نفس ما كتبه الأستاذ ومن ذخائر الفكر الإسلامي .

زعماء الإصلاح في العصر الحديث :

يشتمل هذا الكتاب على سيرة بعض المصلحين الذين ولدوا في مختلف
المماليك ، قام هؤلاء الأشخاص على إصلاح وتربيه المجتمع الإسلامي ، يصور
فيه الدكتور صورة النهضة الإصلاحية في هذا العصر .

فيض الخاطر :

في هذا الكتاب مقالات الدكتور أحمد أمين الدينية والسياسية والأدبية
والتي نشرتها مجلات الرسالة والثقافة والحلال ، وظهرت أجزاء مثمرة تتكون من
عشرة مجلدات من فيض الخاطر ، تبلغ مقالاته تسع مائة مقالة ، كانت مقالاته
محبوبة بين القراء وكانت يتظرون مقالة الأستاذ أسبوعياً ، هذه المقالات تشتمل
على موضوعات سهلة وعبارات مبسطة وأسلوب واضح ومتبع .

النقد الأدبي :

هذا الكتاب في الحقيقة محاضرات الأستاذ أحمد أمين في كلية الآداب ،
فهذا الكتاب يمتعنا بالنقد الجيد الممتاز الرائع المتنوع المقارن المتذوق .

هذا الكتاب سيرته الذاتية سرد فيها الأستاذ حياته بكل صدق في كل
كلمة كتبها ، ذكر فيها حياته الخاصة وال العامة بكل دقة وصراحة ، وإن هذا
الكتاب خير مرجع لمن أراد أن يدرس الأستاذ كرائد الإصلاح والحركة الفكرية

العربية الحديثة وفي نفس الوقت حير مرجع لتاريخ النهضة المصرية الحديثة .
كان الأستاذ مملوء بالصفات الدينية يحب الخير للجميع وكان يقضى
بالعدل دائماً ، حتى إنه سمي "بالعدل" و "العدل" ، كما نعرف ، صفة رفيعة
واسعة ، تحمل فيها معاني كثيرة من معانٍ الصدق والإخلاص والمساواة ،
والنهوض بالواجب على أحسن صورة ، وكل هذه الصفات كانت متوفرة في
شخصيته الثرية .

وكان متأثراً ببعض الشخصيات الإصلاحية العظيمة واحتارهم كمتارة
في مذهب الإصلاحي علماً وسياسة وتربية ، فقد صب حياته في نفس القالب
واتبع خطواتهم ، وكتب كتاباً عن هؤلاء المصلحين وذكرهم في مختلف مقالاته
تحت عناوين مختلفة .

مثل السيد جمال الدين الأفغاني ، زعيم المصلحين ، كتب عنه بالتفصيل
العام منذ ولادته إلى مماته ، حدى فيه عن حياته وخلقه ورحلاته وأعماله
الإصلاحية ، وهي أن يتحد العالم الإسلامي تحت ظل واحد ، وحبس حياته
لاستقلاله ، كما قد كتب أحمد أمين مقالات عن السيد جمال الدين الأفغاني في
كتابه فيض الخاطر في عدة صفحات تفصيلاً ، وقد أحسن أحمد أمين تلخيص
أهداف الأفغاني في رأيه ، "أراد السيد أن يدعو إلى إصلاح المسلمين دينياً
واجتماعياً وسياسياً ، وإذا كان الإسلام متدرج فيه العقائد بالنظام الاجتماعي
والسياسي كانت دعوة السيد شاملة للمناحي الثلاثة ، وكان المثل الأعلى له حالة
ال المسلمين في عهد الخلفاء الراشدين من حيث العقيدة والصفات الخلقية والنظام
السياسي ، فيرى أنهم كانوا موحدين حقاً ، معتززين بدينيهم ، لا تفرقهم المذاهب
والطريقة ، متربطين برباط الأخوة يذلون أعز شيء في سبيل عقيدتهم وعزهم ،
ينشرون بينهم ما استطاعوا ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر" .

وبعد وفاة السيد جمال الدين الأفغاني قام باستمداد الحركات
الإصلاحية الدينية تلميذه العظيم وأستاذ الدكتور أحمد أمين ، الشيخ محمد
عبدة ، كان يدرس أحمد أمين دروساً عن التفسير ، كتب عنه في كتبه
ومقالاته بالتفصيل ، ومن رأى أحمد أمين أن الشيخ كان إمام العصر وكثيراً ما
تحدث عنه الأستاذ في مناسبات كثيرة بحد ذاتها في صفحات متعددة في كتابه
ومقالاته ، وفي عصره نشأت حركة الإصلاح الديني في مصر ملؤة بأراء

الإمام عبده ، وعرفه الكثير وفضله بعد وفاته ، لخص الأستاذ حياته وقدرته وجهوده بطريقة نادرة ، فالشيخ عبده في رأي أحمد أمين : "رجل حلق وسلوك قبل أن يكون إماماً مصلحاً ، فهو شريف القصد ، حر الرأى ، عالي الجهة ، لا يخضع لأوضاع رسمية يراها ظالمه مجحفة ، ويجاهه الكباء من أصحاب الرأى النافذ والصيت البالغ بما يحرجهم إذا كاد الإحراج سبيلاً لرد المظلمة وإحقاق الحق" (٤) إن مؤلفات الشيخ قليلة ، ولكن نقدر أن نقول : إن مؤلفاته ناطقة تبلغ أكثر من ألف صفحة ، فيقال : إن رب كتاب واحد أقام أمة وأقعدها ، كتابه رسالة التوحيد الذي كتبها دفاعاً عن دينه كان شيئاً جديداً فأنتجت كتاباً رائعاً تتكلم عن إفاضة الكتاب في موضوعاتها .

وأجدر بالذكر هنا السيد عبد الرحمن الكواكي وهو أيضاً موحد في فهرس هؤلاء العلماء والمصلحين ، ونحس بفيض من الحب الشديد في حديث أحمد أمين عن الكواكي ، فإنه يعتقد أن الكواكي "كان مثالاً نادراً في الرجال ، مؤدب اللسان فلا تؤخذ عليه هفوة ، يزن الكلمة قبل أن ينطق بها وزناً دقيقاً ، حتى لو ألقى عليه السلام لفكرة في الإجابة ، منتزن في حديثه ، إذا قاطعه أحد سكت وانتظر حتى يتم حديثه ، ثم يصل ما انقطع من كلامه ، فيؤدب بذلك محدثه ، نزيره النفس ، لا يخدعه مطعم" (٥) ، كان شجاعاً في قوله و فعله مما واجه من المصائب مثل التسجين أو ضياع المال ، متواضعاً للبائسين والفقراء ، يحمى الضعفاء ، وكان من محبي الحق ، كان متأثراً من أفكار الأفغاني والشيخ محمد عبده ، بعد قيامه في مصر أحب أن يخدم الأمة العربية ، أراد أن يتحد العالم الإسلامي فمن رأيه أن العرب فقط يستحقون قيادة العالم الإسلامي ، والخلافة يجب أن تكون على طريقة الخلافة الراشدة كما ذكر في الأحاديث النبوية أن الخليفة يجب أن يكون من العرب ، ومن قريش ، ويتصف بسيرة الخلفاء الراشدين ، كان يدافع العرب لأن لغة العرب هي لغة القرآن والحديث ، ولكن ما قصد فقط أن يفرق بين الأمة المسلمة ، بل من رأيه أن العرب هم القائدون ، تأليفه الأول "أم القرى" في الحقيقة رواية عن مجد الإسلام ، عرض فيها صورة الأمة الإسلامية والخلافة العربية ، أما تأليفه الثاني "طائع الاستبداد" فهو مجموعة مقالات ، فقد اكتسب أحمد أمين في تحليل كتابي الكواكي "طائع الاستبداد" و "أم القرى" معرفة جيدة ، عين الكواكي في كتابه أن الإسلام يحارب الاستبداد ، فإنه مبني على قواعد كريمة من الحرية السياسية ، وهو مؤسس على مبادئ ديمقراطية .

هكذا ذكرنا بالاختصار بعض الشخصيات التي أثرت في أعماق أ Ahmad Amīn ، فتابعت فلسفتها وهي وجوب الإصلاح الداخلي أولاً بنشر التعليم الصالح وترقية الشعب ، ثم الاستقلال يأتي بعد ذلك ، نقدر أن نرى هذا الأثر تقريباً في جميع مؤلفاته ومقالاته الإصلاحية التي تناولت في الحالات بأفضل صورة ممكنة ، دعا أ Ahmad Amīn للأمة الإسلامية إلى النهضة العلمية ، وهنا مقالاته تصور صورة قوية عن الإسلام الحقيقي الصادق ، لذلك فإن كل ما دعا إليه من شؤون الإصلاح كان مستظلاً فيها برأية الإسلام .

فالشيخ الذي كرره الأستاذ أمين في مقالاته المتعددة هو الفهم الصحيح لمعنى كلمة (لا إله إلا الله) الذي غفل الكثيرون عنها فإن معناها أن لا يوجد سوى الله معبود فلا يجب الخضوع لأحد سواه على الإطلاق ، ويجب إطاعته لكل طبقة من الناس لأنهم سوى كأسنان المشط ، ومن رأي الأستاذ أن هذه العقيدة إلى حاجة شديدة لتصفية النفس من الشوائب وإلى تحفيظ إيمان الضعفاء ، فلا يركعوا للأقواء ولا يحاول الأغنياء السيطرة على الضعفاء ، فيسهل ذلك لو آمن الجميع حقاً أن لا إله إلا الله وهذا هو جوهر الإسلام ، ذكر أ Ahmad Amīn عن أسباب تأخر المسلمين فوجد أن المسلمين يعودون عن معرفة سنن الله في الكون ، ثم يخبرنا بأن هذه السنن تسير على نظم دقيقة ولا شذوذ فيها ، فمن تعها له عزة واستقلال ومن جافها فله الانحدار والاحتلال ، فمن رأي الأستاذ ، أنه يجب أن تكون طائفة تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، وتعرف شؤون الناس وتدير أحواهم ، وتدعوا إلى الاتحاد في الخير والتعاون حتى يزول البأس ويخل الرخاء .

ذكر أ Ahmad Amīn عن وسائل ارتقاء الأمة الإسلامية وأهمها التضحية ، ويفهم معناها أن التضحية ليست مخصوصة على الجنود في مواقف القتال ، فإن هناك كثيراً من الأمثلة في الحياة اليومية لكل فرد حيث يقول ، "فالذي يتنازل عن ذاته الفردية الضيقة للمصلحة العامة الواسعة ، يكون مضحياً على قدر ما يبذل ، والموظف الذي ينال شيئاً من العنا لراحة الجمهوه مضح ، والعني الذي يتنازل عن بعض لذائذه لخير الناس مضح ، والمزارع الذي يرعى حال فلاحه ، يتنازل عن بعض لذائذه لخير الناس مضح ، والمزارع الذي يرعى حال فلاحه ، فهو مجموعه مقالات ، وبعدها يوضح لنا أن الأمة لن تفلح إذا بحث أفرادها عن مضح" (٦) ، وبعدها يوضح لنا أن الأمة لن تفلح إذا بحث أفرادها عن لذائذهم الشخصية فقط ، مهما حسن تشريعها فالنجاح يكون بعيداً منها ما دام كل فرد لا يفكر إلا شخصيته ، ثم يستنتج الأستاذ أن التضحية لا تكون حتى يتعود القلب العطاء كما يتعود الأخذ .

يذكر الأستاذ أنه دعي مرة لإلقاء محاضرة في مدرسة القضاء الشرعي ، وهو طالب في الرابعة والعشرين من عمره ، فاختار موضوع : "أسباب ضعف المسلمين" ، فكان الأستاذ يحمل أن ضعف المسلمين يرجع إلى شئين أساسين : الأول : "فساد نظام الحكم في البلاد الإسلامية وما جرّه ذلك من ظلم لرعاية وعسف بمحبّتها ، واستغلال الحكام لها وتسخيرهم قواها للذّاهم الشخصية ، والثاني رجال الدين فقد شارعوا الحكومات الظالمة وأيدوها ، وتأمروا معها وبثوا في نفوس الشعب الرضا بالقضاء والقدر والاعتماد على نعيم الآخرة إذ حرموا نعيم الدنيا ، كل هذا أضعف من نفوس المسلمين وأذنهم وأنفك قواهم ، ولا أمل في صلاحهم إلا بصلاح رجال الحكومة ورجال الدين" (٧) ، لم تكن محاضرة أَحْمَد أمين التي ألقاها مجرد محاضرة بل هي شغلة طول الحياة ، فهو لم يكتب شيئاً أو اصططع بعمل واشترك في لجنة إلا وهو يبحث في أسباب ضعف المسلمين أو يساهم في القضاء عليها .

للأستاذ مقالات عديدة عن الدعوة إلى الاجتهاد في التشريع فوجد الدكتور صدّاه لأنّه لم يكن واحداً في هذه الدعوى بل كان تلاميذ الإمام محمد عبد من أعلام الفكر الإسلامي الذين بدؤوا خطوات الاجتهاد فوقوا إلى حد كبير ، ونتيجة لذلك قامت مجتمع الفقه والبحوث الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم .

في الأخير لانخليع إذا قلنا إنّ أَحْمَد أمين ذخيرة من علم وخلق وصدق غاص في العلم الذي أنّاه الله قدرة عليه ، فهذا الأديب الحقّ أخرج للدارسين والمدرسين وعشاق الأدب الإسلامي ما يدلّ على مكانته الرفيعة بين الكتاب ، ويقال : إنه حقّ ونشر ، وحسبه أنه في هذا العصر ثانٍ اثنين في الفكر الإسلامي رحمه الله وجراه خير الجزاء .

المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها :

- ١- "حياتي" لأحمد أمين صفحة ٦٤ / الطبعة الأولى .
- ٢- مجلة الملال سنة ١٩٨٦ أكتوبر ٢٦ تحت عنوان "أحمد أمين هذا الثائر المحافظ والعلماني الورع" ، بقلم الدكتور حلال أمين .
- ٣- أحمد أمين مؤرخ الفكر الإسلامي ٥١ لرجب البيومي .
- ٤- نفس المرجع/ ٨٨ .
- ٥- نفس المرجع/ ٨٥ .
- ٦- فيض الخاطر ج ٢٣٢/٣ لأحمد أمين .
- ٧- "حياتي" لأحمد أمين ١٢٩ / ١٢٩ الطبعة الأولى .

عرفات القرآن للعلامة السيد سليمان الندوبي

(١٨٨٤-١٩٥٣)

بقلم : محمد فرمان الندوبي

مبشراً ونذيراً :

إن معنى خليل الله لغة : صديق الله الخالص ، والنافع الأمين ، وهو لقب إبراهيم عليه السلام ، كذلك كان موسى عليه الصلاة والسلام يلقب بكلِّم الله ، معناه بجي الله ، كذلك سمي عيسى عليه الصلاة والسلام روح الله ، هكذا سمي القرآن مُحَمَّداً شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

يشكّ عامة الناس في مثل هذه الصفات ويقولون : هل كان الأنبياء الآخرون متجردين عن هذه الصفات ، فالحقيقة أن هذه الشبهة إنما تنشأ بقلة الإطلاع على نكات اللغة ، ومعلوم أن كل إنسان يلقب بالصفة التي يلغ فيها مبلغ الكمال ، مثل ذلك كل رجل يتكلّم ويتحدث ، لكن لا يسمى كل إنسان أباً الكلام ، تستعمل هذه الجملة للرجل الذي يمتلك ناصية البيان ويتمهر فيه ، كذلك كل إنسان يملك العين واليد ، لكن القرآن الكريم يصفهما الأنبياء العظام ، قال الله عز وجل : **«وَادْكُرْ عَبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَئِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارَ»** (سورة ص الآية ٤٥) ، ولا شك أن اليد تكون للعمل ، والعين تكون للعلم ، فالمطلوب منها غاية المواهب العلمية والعملية للإنسان ، ذلك لأن موهاب الأنبياء تكون على مرتبة الكمال فسموا بأولي الأيدي والأبصار .

هذا هو السبب فيما إذ وصف الله الأنبياء العظام بصفات متعددة ، فقال الله عز وجل عن إبراهيم : **«وَأَنْخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا»** (سورة النساء الآية ١٢٥) وقال عن موسى : **«وَكَلَمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا»** (سورة النساء الآية ١٤٦) وقال عن إسماعيل : **«إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ»** (سورة مريم ٥٤) وقال عن أيوب : **«إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا»** (سورة ص الآية ٤٤) وقال في سورة البقرة : وهو يتحدث عن تفضيل الأنبياء ببعضهم على بعض : **«تَلَكَ الرُّسُلُ فَضَلَّنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرِيمَ الْبَيْنَاتِ وَآيَدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ»** (سورة البقرة الآية ٢٥٣) .

مفردات القرآن للعلامة السعيد سليمان الندوى

البعث الإسلامي

تقولون في هؤلاء الأسارى فقال عبد الله بن رواحة : ايت في واد كثير المطبل فأضرم نارا ثم ألقهم فيها ، فقال العباس رضي الله عنه : قطع الله رحمك ، فقال عمر رضي الله عنه : قاتلوك ورؤساؤهم فاتلوك وكذبوك فاضرب أعناقهم بعد ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : عشيرتك ، ثم دخل رسول الله ﷺ فقال : ما تقولون في هؤلاء ، إن مثل هؤلاء كمثل إخوة لهم كانوا من قبلهم **﴿وَقَالَ رُوحٌ رَّبَّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ الْكَافِرِينَ دَيَارًا﴾** (وقال موسى) **﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدْدُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾** الآية وقال إبراهيم : **﴿فِمَنْ تَعْنِي فَإِنَّهُ مَنِي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** وقال عيسى : **﴿إِنْ تَعْذِبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**

(المستدرك على الصحيحين للحاكم : ٤٣٠) فعلم منه أن رسول الله ﷺ شبه عمر بن الخطاب وعبد الله بن رواحة بنوح وموسى عليهما السلام في الإنذار ، وأبا بكر بإبراهيم وعيسى عليهما السلام في التبشير ، وهذا يدل على كمال هاتين الصفتين فيهم بالانفراد . إن غلبة صفة النذير في نبي ، وغلبة صفة البشير في آخر ليست عبار عن تفضيل الواحد على الآخر ، بل هاتان الصفتان مظهران لجلال الله وجماله

فأتصف واحد من الأنبياء بصفة الجلال وثانيهم بصفة الجمال ، كلما مس الحاجة إلى اختيار الكمال فيهما أرسل الله الرسول متصفًا به ، فكلتا الصفتين من صفاتيه ، وكلتا هما من أسمائه الحسنى - قال الله عز وجل : **﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلَكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾** (سورة الحشر الآية ٢٣ - ٢٤).

وَلَا تَنْشأْ شِبَهَةً بِالنَّظَرِ إِلَى هَذَا أَنْ نَبِيًّا يَكُونَ مُبَشِّرًا فَقَطُّ ، وَالْآخَرُ
يَكُونَ نَذِيرًا ، بِحِيثُ يَبْشِرُ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، وَيَنْذِرُ آخْرَهُمْ ، بَلْ الْمَرْادُ أَنْ وَاحِدًا
يَحْمِلَ صَفَةَ الْإِنْذَارِ مَعَ الْكَمَالِ فِي التَّبْشِيرِ ، وَالثَّانِي يَمْلِكُ صَفَةَ التَّبْشِيرِ مَعَ
الْتَّحْصِصِ فِي الْإِنْذَارِ ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُولَ وَصَفَا عَامًا فَقَالَ :
«وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ» ، وَهَذِهِ الْبَشَارَةُ وَالْإِنْذَارُ
تَشْرِحُهُمَا الآيَةُ **«فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ»**

وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسِهُمُ الْعَذَابُ بِمَا دَانُوا يَصْنَعُونَ .
(مقالات سليمان ج ٣ / ص ٢٨٤ - ٣٠٥ بتلخيص)

卷之三

إن الصفات البارزة للأئمَّة تظهر من ناحيتين : أولاً بالنُّصُوص الصريح الواضح ، كما جاء التصرِّح بكون موسى كليم الله وعيسى روح الله وغير ذلك ، ثانياً أن لا يكون تصرِّح بهذه الصفة في الألفاظ ، لكن تتجلّى هذه الصفة في مآثر حيائِمِ العمليَّة ، كما يُظْهِرُ من دراسة القرآن أن موسى ونوحَا كانوا نذيرين ، وعيسى وإبراهيم كانوا بشيرين .

فمعنى كمال صفة النذير : أن تتجلى فيه صفات القدرة والغضب لله عز وجل ، ومعنى كمال صفة البشير أن يصطبغ بعض الأنبياء بصبغة فضل الله وكرمه ورحمته ، كما أن الله عز وجل لما سمي محمداً مبشرًا قال : «وبَشِّرْ المؤمنينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا» (سورة الأحزاب الآية/٤٧) .

أما جانب القهر والغضب في منتهى صفة النذير فيكون أكثر وأكثر ،
كما أن نوحا عليه الصلاة والسلام لما قنط من فشل دعوته منذ مئات من
السنوات فإنه دعا على قومه لاستئصالهم من الأرض ، قال الله عز وجل بلسانه :
**(رَبُّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنِ الْكَافِرِينَ دِيَارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضْلُّوا
عِبَادَكَ وَلَا يَلْدُوْا إِلَّا فَاجْرَا كُفَّارًا * رَبُّ اغْفِرْ لِي وَلَوَالَّدِيَ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدْ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا)** (سورة نوح الآيات / ٢٦ - ٢٩)

وَإِنْ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَحَلَّى مِنْ دُعَائِهِ عَلَى فَرْعَوْنَ شَأْنَ جَلَالَهِ وَإِنْذَارِهِ : «وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ أَتَيْتَ فَرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَآهْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضْلِلُوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى آمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» (سورة يومن الآية/٨٨) ، انتظروا مُقَابِلَ ذَلِكَ كَمَالَ صَفَةِ التَّبَشِيرِ لِعِيسَىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِحِيثِ إِنَّ اللَّهَ حِينَما يَسْأَلُهُ عَنِ الَّذِينَ وَقَعُوا فِي الشَّرِكَ يَقُولُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رِدًا عَلَيْهِ وَيُلْتَمِسُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَتَهُ عَزَّ وَجَلَّ : «مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ إِنْ أَعْبُدُو إِلَهًا رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ قَلَمًا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَئْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَئْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (سورة المائدة الآيات/١١٧ - ١١٨) .

رسالتكم بين السدير والمبتر ليس من عندي ، بل هو ما نطق به لسان
نبينا محمد ﷺ : أخبرنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبرى ثنا محمد بن عبد
السلام ثنا إسحاق بن إبراهيم أبا جرير بن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي
عبيدة بن عبد الله عن أبيه : قال : لما كان يوم بدر قال لهم رسول الله ﷺ : ما
ع ١٠ / ج ٥٨٥ - رجب وشعبان ٤٣٤ هـ ٩٤ / ٩٤ مایو ویونیو ٢٠١٣ م

هداية للإنسان سواء كان في الشرق أو الغرب أو القطب الشمالي أو الجنوبي وتشمل كل دابة" ، وأكد الدكتور الندوى قائلاً : "لا أقول هذا الكلام إلا كتيبة لدراسة الموضوع ، ونحن بأحوج شيء إلى أن نتبعه ^{ذلك} حتى تكون سعداء ونكون فائزين في كل مجال من مجالات الحياة ، ومطلوب من الإنسان أن يجعل هذه المدايم النبوية نموذجاً في كل مجال من المجالات الحيوية ، ونحن أولى بأن نتصف بهذه الصفة العالية التي أكرم بها الإنسان ، وإذا اتصف الإنسان بالصفات النبوية يمكن أن يقود العالم" ، وكان من المتوقع أن يحضر رئيس ندوة العلماء سعادة الأستاذ الشيخ محمد الرابع الحسني الندوى هذه الندوة ولكنه شغل ببعض الأشغال الشاغلة فلم يتمكن من الحضور وأرسل رسالته التشجيعية ومقالته القيمة حول "المدايم النبوية ومساهمة الشعراء فيها" فنياة عن سعادة الأستاذ السيد محمد الرابع الحسني الندوى قرأ المقالة ضيف الشرف الأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوى أمام المستمعين الحضور ، واستفاد الحضور من هذه المقالة القيمة ، وقدم الدكتور نعيم الحسن كلمة الشكر لجميع الضيوف الكرام والمستمعين الحضور .

وقبل هذه الجلسة في نفس اليوم ، عقدت المحاضرة السادسة من سلسلة حاضرات خورشيد أحمد فارق التذكارية حول "نبذة عن مساهمة الجامعة الإسلامية بعليجراه في تطوير اللغة العربية وأدابها" وألقى المحاضرة البروفيسور السيد كفيل أحمد القاسمي ، رئيس قسم اللغة العربية بجامعة الأدب العربي الإسلامي والمدايم النبوى ^{ذلك} ، كما قام بتعريف رئيس الجلسة البروفيسور احتشام الندوى وأعماله في مجال اللغة العربية وأدابها ، وفي خطبته الرئاسية ألقى البروفيسور احتشام الندوى ضوء مستفيضاً حول خدمات العلماء الهندود في مجال المدايم النبوية وقال : إن جهود العلماء من جنوب الهند في هذا المجال المبارك لا تقل عن جهود علماء أي منطقة من المناطق الهندية ، فإنه أفاد المستمعين إفاده تامة .

وألقى ضيف الشرف الدكتور سعيد الأعظمي الندوى خطاباً جاماً شاملاً ، وقال فيما قال : "إن موضوع هذه الندوة هو موضوع كل عصر ومصر ، ويعلم العالم كله في كل مكان ، إن رحمة النبي ^{ذلك} تشمل الإنسان كله في كل مكان ، الإنسان والإسلام معاً ، الإسلام لا ينفصل عن الإنسان ، والإنسان لا ينفصل عن الإسلام ، فإن النبي ^{ذلك} قدوة للإنسانية كلها" ، واستطرد قائلاً :

"تشمل رحمته ^{ذلك} جميع المخلوقات سواء كان صغيراً أو كبيراً ، تشمل الخلق جميعاً ، تشمل الأجواء والفضاء ، تشمل كل ما بين السماء والأرض ، تشمل الير والبحر ، إنه هو الرحمة المهدأة ، هذه الرحمة حقيقة بأن يثنى عليها ويبدأ بها كل حفل ، رحمته في كل المجالات ترشد الإنسان إلى سواء السبيل ، فهي الشكر إلى الجميع .

ندوة حول "المدايم النبوية في الشعر العربي الهندي"

بعلم : الدكتور محمد قطب الدين

أستاذ مساعد ، مركز الدراسات العربية والإفريقية ، جامعة جواهر لال نهرو ، نيو دلهي

نظم قسم اللغة العربية وأدابها بجامعة دلهي ، ندوة قومية ليومين مساعدة مالية للمجلس الوطني لترقية اللغة الأردية ، التابع لوزارة تنمية الموارد البشرية ، للحكومة الهندية ، حول الموضوع "المدايم النبوية في الشعر العربي الهندي" : أصلاً وترجمة" وذلك في الفترة ما بين ٦ - ٥ مارس / آذار ٢٠١٣ م ، عقدت الجلسة الافتتاحية برئاسة البروفيسور احتشام الندوى ، رئيس قسم اللغة العربية وأدابها بجامعة كاليكوت سابقاً ، والأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوى ، مدير دار العلوم لندوة العلما ، ورئيس التحرير مجلة "البعث الإسلامي" كان ضيف شرف هذه الندوة العلمية المباركة ، فاستهلت الجلسة بتلاوة القرآن الكريم ، وقدم رئيس القسم البروفيسور نعمان خان كلمة الترحيب بالضيوف الكرام ، وقام بتنسيق هذه الجلسة الأستاذ الدكتور ولي أختر الندوى ، وتعريفاً بضيف الشرف أبرز البروفيسور شفيق أحمد خان الندوى إسهامات الدكتور سعيد الأعظمي الندوى وخدماته الملموسة في مجال الأدب العربي الإسلامي والمدايم النبوى ^{ذلك} ، كما قام بتعريف رئيس الجلسة البروفيسور احتشام الندوى وأعماله في مجال اللغة العربية وأدابها ، وفي خطبته الرئاسية ألقى البروفيسور احتشام الندوى ضوء مستفيضاً حول خدمات العلماء الهندود في مجال المدايم النبوية وقال : إن جهود العلماء من جنوب الهند في هذا المجال المبارك لا تقل عن جهود علماء أي منطقة من المناطق الهندية ، فإنه أفاد المستمعين إفاده تامة .

وألقى ضيف الشرف الدكتور سعيد الأعظمي الندوى خطاباً جاماً شاملاً ، وقال فيما قال : "إن موضوع هذه الندوة هو موضوع كل عصر ومصر ، ويعلم العالم كله في كل مكان ، إن رحمة النبي ^{ذلك} تشمل الإنسان كله في كل مكان ، الإنسان والإسلام معاً ، الإسلام لا ينفصل عن الإنسان ، والإنسان لا ينفصل عن الإسلام ، فإن النبي ^{ذلك} قدوة للإنسانية كلها" ، واستطرد قائلاً :

"تشمل رحمته ^{ذلك} جميع المخلوقات سواء كان صغيراً أو كبيراً ، تشمل الخلق جميعاً ، تشمل الأجواء والفضاء ، تشمل كل ما بين السماء والأرض ، تشمل الير والبحر ، إنه هو الرحمة المهدأة ، هذه الرحمة حقيقة بأن يثنى عليها ويبدأ بها كل حفل ، رحمته في كل المجالات ترشد الإنسان إلى سواء السبيل ، فهي ع ١٠١ - ج ٥٨ / رجب وشعبان ١٤٣٤ هـ ٩٦/٩٦ مايو ويونيو ٢٠١٣ م

مؤتمر الرحمة في جامعة الرحمة

كانت لي رحلة إلى جامعة الرحمة بمنطقة غلغوري بمديرية سهارنفور الهند ، على دعوة من رئيس الجامعة فضيلة الشيخ عبد المالك المغيثي بحل فضيلة الشيخ العلام محمد عبد الله المغيثي رئيس المجلس الملي في الهند ، ورئيس الجامعة الإسلامية غلزار حسينية بمنطقة أحجاره بمديرية ميرت (الهند) ، وذلك للحضور في مؤتمر الرحمة الذي عقد في ساحة جامعة الرحمة يوم الخميس غرة جمادى الأولى ١٤٣٤هـ المصادر ١٤/١ من شهر مارس ٢٠١٣م ، حضر المؤتمر عدد كبير من كبار العلماء والشيوخ ، وقام برئاسته فضيلة الشيخ العلام عبد الله المغيثي حفظه الله تعالى ، ورغم أن الجو كان مكفراً وتتساقط الأمطار الغزيرة فينة لأخرى ، وكان الرعد والبرق والعاصفة يؤثر على برنامج المؤتمر إلا أن عدد الحاضرين والمستمعين كان يمثلآلافاً مولفة ، دون أن يؤثر الطقس عليهم ، وانتهى المؤتمر مساء ، ورجوع الحفل بمنافع دينية وروح طيبة ، والحمد لله تعالى . وبالمناسبة مررتنا على المعهد الإسلامي الذي أنشأه فضيلة الشيخ محمد ناظم الندوى ، بمنطقة مانك فور بمدينة سهارنفور ، فقضينا هناك وقتاً مع

الأستاذة الكرام وشاركتنا حفلة أقيمت للترحيب بالوفد الذي كان معنا ، رحب به الأستاذ شاكر فرح الندوى مدير المعهد الإسلامي ، والمعهد من ملحقات جامعة ندوة العلماء ، ثم رجع بنا الحظ إلى جامعة فلاج الدارين بمديرية سهارنفور الهند ، لصاحبها فضيلة الشيخ محمد شاهد المظاهري ، حيث حضرنا احتفالاً كبيراً كان قد عقد ب المناسبة استقبال الوفد والمشاركة فيه بخطاب

ألقي إلى الحفل ، ثم ألقيت خطب من خلال العلماء والشيوخ الكبار ، وانتهى الحفل بنجاح - والحمد لله - كما قد صادف مرورنا على عدة مدارس إسلامية في المنطقة ، ومنها مدرسة الأخ الفاضل محمد مكرم الندوى ، حيث لقينا جماعة من الأستاذة والمسئولين عن المدرسة ، وقد استقبلنا والد الشيخ محمد مكرم بحفاوة بالغة ، فشكراً للجميع ، والحمد لله تعالى أولاً وأخراً .

كما أن عديداً من علماء ندوة العلماء المتخرجين من جامعتها في ماض قريب ، حضروا البرنامج كلها ، ورجعوا بنا وبعثوا السرور في القلوب بقدمهم فلهم الشكر والتقدير .

وفر عصر الحرم النبوى الشريف يزور ندوة العلماء

قلم التحرير

في اليوم السابع من شهر مارس لعام ٢٠١٣م ، المصادر ٢٤/من شهر ربيع الثاني ١٤٣٤هـ ، قام وفد معهد الحرم النبوى الشريف بزيارة جامعة ندوة العلماء ، فقبول بحفاوة بالغة ، وعقدت حفلة استقبال في جامع دار العلوم الواسع ، وكان من أعضاء الوفد الدكتور محمد أحمد الخضيري مدير معهد الحرم النبوى الشريف والدكتور عبد الجيد مفسر القرآن الكريم . معهد الحرم النبوى الشريف ، والشيخ عبد الله أحد أساتذة معهد الحرم النبوى الشريف ، وقد قام بإدارة الحفل فضيلة الشيخ نذر الحفيظ الندوى عميد كلية اللغة العربية وأدابها بدار العلوم لندوة العلماء ، وألقى رئيس الوفد خطاباً أمام طلاب الجامعة ، وعلق عليها في الأخير مدير دار العلوم لندوة العلماء سعيد الأعظمي الندوى بكلمة جامعة رداً على خطاب الوفد الكريم ، وبعد ما قضى أعضاء الوفد وقتاً طيباً في رحاب ندوة العلماء سافروا إلى مدينة دلهي ، ومنها إلى المملكة العربية السعودية .

الدورة ٢٣ / لجنة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند

انعقدت دورة هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند برئاسة العلامة سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوى رئيس الهيئة ورئيس ندوة العلماء العام ، يوم ٢٣ - ٢٤ من شهر مارس ٢٠١٣م ، الموافق ١٠ - ١١ من جمادى الأولى ١٤٣٤م في مدرسة سراج العلوم بمدينة أجين بولاية مدھیہ بردیش (الهند) .

كان اليوم الأول من هذه الدورة مختصاً بالانتخاب الجديد للأعضاء ، من انتهت عضويتهم ، وبإضافة أعضاء جدد للهيئة ، فقد أجمع الأعضاء كلهم على تجديد منصب رئاسة الهيئة لسعادة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوى رئيس ندوة العلماء في الهند ، كما جرى البرنامج حول بعض الشئون الجديدة مما يتعلق بالأحوال الشخصية للمسلمين في هذه البلاد .

وفي اليوم الثاني عقد احتفال كبير عام في "استاد" أجين الواسع ، ألقيت فيها خطابات إسلامية وكلمات تدعو الجماهير المسلمة إلى التمسك بشرعية الله ، والعمل بما في إصلاح الحياة الفردية والجماعية وتمثيل الإسلام الصحيح للناس جميعاً .

AL-BAAS-EL-ISLAMI
NADWATUL ULAMA, P.O. BOX. 93
LUCKNOW-226007-U.P.(INDIA)
FAX:0091-522,2741221-2741231

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة
ص ٩٣، ندوة العلماء، لكانو (الهند)
الفاكس: ٢٧٨٧٧١٠ - ٥٢٢

رسالة أخوية مهمة

حضرتكم يا أخ القارئ الكريم !
حفظه الله تعالى للإسلام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد فاتمني على الله سبحانه أن تكونوا في خير وعافية وصحة
جيدة ، نشكركم على ما تتابعونه من قراءة : "البعث الإسلامي" ،
وهي مجلتكم ومجلة كل محب للصحافة الإسلامية الهداف ، تصدر من
بالرحمه والغفران ، ويسكته فسيح الجنان ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان .
الله تعالى العام ٥٩ / من العدد القادم ، ونرجو الله سبحانه أن يوفر لذلك
جميع الوسائل اللازمة ، ويجعل التوفيق حليف العمل والعاملين .
لما يخفي عليكم أن المجلة إنما تصدر في ظروف قاسية جداً ،
وبتكلفة باهظة ، ولا سيما بعد تضاعف أجراً البريد فهي بأمس الحاجة
إلى تعاونكم كريم ، وذلك بتقديم دعم علمي ومادي وشئ من
الاهتمام بتوسيع نطاق مشاركتكم جدد من جملة إخوانكم
وأصدقائكم ، ولكم منا الشكر الجزيل ومن الله تعالى حسن القبول .
أرجو التكرم بتحويل أي تبرع أو اشتراك للمجلة بواسطة شيك صادر من
أحد البنوك ، باسم :

AL-BAAS-EL-ISLAMI A/C 10863759846 STATE BANK OF INDIA

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم المخلص

سعيد الأعظمي الندوى

رئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي"
ندوة العلماء - لكانو - ٤٠٠٧ - ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

بالعنوان التالي:

مكتب "البعث الإسلامي" مؤسسة الصحافة والنشر
ندوة العلماء، ص ٩٣، لكانو - ٤٠٠٧ - ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

الشيخ بها الدين الحيدرآبادي إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

أفادت الأنباء بوفاة الشيخ بها الدين الحيدرآبادي يوم الثلاثاء ١٣ / من
شهر جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٠١٣/٣/٢٧ م ، في مقره بميدن آباد ،
وكان مريضاً منذ مدة ، فاترثت به رحمة ربها تعالى ، إنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم ذا صلة مخلصة بسمامة العلامة الشيخ السيد أبي
الحسن على الحسيني الندوى ، وظل في تربيته إلى أن وفاه الأجل رحمة الله ،
وبالتالي كانت علاقته بندوة العلماء وثيقة حتى أرسل ابنه العزيز للدراسة في دار
العلوم لندوة العلماء ، وقد ارتوى بمناهلها العلمية ، والحمد لله ، ونحن حينما
نعزي جميع أعضاء أسرته على هذا المصاب نتضرع إلى الله تعالى أن يتغمده
بالرحمه والغفران ، ويسكته فسيح الجنان ، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

٢- السيد شعيب الرحمن إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأخ الفاضل السيد شعيب الرحمن من مدينة
لكهنو ، وكان ذا اهتمام كبير بالشئون الدينية والاجتماعية ، وكان رئيساً
لجمعية الإصلاح الهندية في مدينة لكهنو فيعقد اجتماعات دينية حينما
يسى كبير له معروف ببرج الرحمن ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .
كما كان ذا صلة بندوة العلماء ورئيسها العام العلامة الشيخ السيد
محمد الرابع الحسيني الندوى .

فاجأه الأجل في مكتبه الذي كان يعمل فيه كموظفي رسمي ، ذلك في
١٤٣٤/٥/١٢ الموافق ٢٠١٣/٣/٢٦ م ، وله من الأصدقاء والأعوان عدد
كبير ، رحمة الله تعالى رحمة واسعة ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته
وأنهم أهله وذويه الصبر والتعزى .

٣- والدة الشيخ محمد هاشم المظاهري إلى رحمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله بوالدة الشيخ الحافظ محمد هاشم المظاهري ، أحد
مدارس تحفيظ القرآن الكريم في دار العلوم لندوة العلماء يوم الاثنين
٥ من شهر جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٠١٣/٣/١٨ م ، فإننا لله وإننا
إليه راجعون .

كانت الراحلة الكريمة من صواحة النساء ، ملتزمة بالعبادات والأوراد ،
منفة في سبيل الله ، مساعدة لأهل الحاجات ، نرجو أن يتناولها الله تعالى بواسع
رحمته ومغفرته ، ويسكتها فسيح جناته ، ويلهم أولادها وذويها الصبر الجميل .

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol: 58 Issue:10

May-June 2013

إصدارات حديثة:



جائزة نايف عبد العزiz آل سعود العالمية
الملوكي للدراسات الإسلامية المعاصرة
فرع السنة النبوية

مكانة الصحابة وأثرهم في حفظ السنة النبوية وواجب الأمة نحوهم

بحث

أ.د. خليل بن إبراهيم ملا خاطر

الدورة الخامسة

نهاية الربع الأول ٢٠١٣

٧ ٥ ٤ ٣ ٢ ١